في نقد النحو العربي

تأليف

الدكتور صابر بكر أبو السعود

١٩٨٨

دار الثقافة
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لم يعرض لعلم من علوم العربية ما عرض للنحو العربي من نقد ، وبالغ النقاد كثيرا في هجومهم على النحو العربي ، لم ينصفه منصف ، وانما كالوا له بميزان غير العادل ، وأغفلوا الجهود المثمرة التى خلفها النحاة فى مراحل مختلفة ، ودخل ميدان النقد كثيرون من غير المتخصصين فلم يسلم النحو ولا النحويون من نقدهم ، وكأن النحو العربى مشاع لكل ذى قلم أو لسان · وفات القوم أن النحو العربى تراث يمثل الفكر العربى فى مراحل مختلفة ، مرحلة جمع اللغة من مظانها المتعددة ، ومرحلة ضبط اللسان حتى لا يقع فى اللحن ، ومرحلة وضع القاعدة النحوية اطرادا من كلام العرب الفصحاء ، وترك الشاذ والنادر دون الاستناد اليه فى وضع القاعدة ، ومرحلة الرأى فى هذا التراث العظيم الذى حمل لواءها النحويون البصريون والكوفيون ، ثم مرحلة الجمع بين هذه الآراء المختلفة ومحاولة استيعاب هذه الآراء فى مؤلفات تجمع شتاتها ، ثم الاتجاه الى النحو التعليمى ·

وما زال النحو العربى يجد صداه فى خارج العالم العربى بوصفه علما له أصوله وفروعه ، وفى المقابل يجد النحو العربى كثيرا من المنكرين له داخل العالم العربى ، اللهم الا من محاولات متفرقة للدارسين المتخصصين ، فى ظاهرها احياء للنحو العربى وفى باطنها ومضمونها ثورة على هذا النحو الذى نال من دارسيه كثيرا من الحيف ، ولم ينل الانصاف الذى يستحقه ·

وفى ظنى أنه لا يوجد علم تعرض لما تعرض له النحو العربى فى عصور مختلفة ، وضاق البعض بهذا العلم الذى يمثل ثمرة من ثمار الفكر العربى ، حتى وصل الأمر ببعض المعاصرين أن يرسموا لسيبويه منهجه ولابن جنى أسلوبه ولابن مالك طريقته فى رصد القاعدة النحوية ، ومن دواعى الاسف أن الذين يوجهون نقدهم السلبى الى النحو العربى من العرب ، بينما نجد الجامعات فى الغرب والشرق وفى الولايات المتحدة تقوم بعمل دراسات لهذا العلم ، الذى لم تقتصر الكتابة فيه على العرب وانما تجاوزتهم الى الأجانب الذين وقفوا مبهورين أمام هذا الفكر النحوى الخالص .

ونقلت عدوى الهجوم على النحو العربى على ألسنة الكثيرين فصار النحو العربى تسليتهم فى مجالسهم ينالون منه ولم يقرأ الواحد فيهم كتابا فى النحو بله الاصول ، وانما هو يقوم بالنقد على السماع والمجاراة الأمر الذى يسم مثل هذه الآراء بانعدام الجدية والبحث .

النحو العربى انعكاس أمين للفكر العربى فى عصور مختلفة ، وهو انعكاس لطبيعة كل عصر من العصور ، فنحاة القرن الثانى الهجرى كانت وظيفتهم كبيرة فى سبيل وضع قانون اللغة لبواعث مختلفة سوف تذكر فى حينها ، ونحاة القرن الثالث كانت أمامهم الآراء ماثلة يناقشونها ويحللونها ، ونحاة القرن الرابع كانت الفرصة أمامهم كبيرة فى البحث والتمحيص وفى الوقوف على العلة النحوية بعد ما صاغ الفكر العربى هذه العلل فى قوانين نحوية .

ولا نستطيع أن نغفل حق العقل العربى فى الابداع ، الذى يكشف عن أصالة كما يكشف عن كونه فكرا غير معزول وانما هو فكر يؤثر ويتأثر شأن الثقافة فى كل عصر من عصور الازدهار .

من ثم ينبغى ألا يدرس النحو العربى منفصلا عن تاريخه ، فلكل فترة أسبابها ودواعيها ، ولقد بلغ النحو العربى مكانته حينما سادت العربية واتسعت رقعة المتكلمين بها وساد أصحابها ، وكان النحو العربى هو العلم الذى يسعى اليه العلماء ، وتاريخ النحو يلفتنا الى أن سيبويه حين لحن فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك حلقة الحديث ولجأ الى حلقة النحو ، لانه أدرك أن الأداة الصحيحة لفهم الحديث وفهم القرآن الكريم وفهم الشعر العربى هى النحو . لم يترك سيبويه حلقة الحديث زهدا فيه ــ معاذ الله ــ وانما ترك حلقة الحديث الى حلقة النحو حتى يأخذ بالاسباب لانه وعى أن علوم اللسان دعائم وركائز المثقفين .

عنى العلماء بالتفسير وبالحديث وباللغة وبالنحو بوصف هذه الوحدات تمثل التكامل فى التعامل مع المعانى وكشف دلالات النصوص .

وحينما وصل المجتمع العربى الى درجات من الضعف انعكس هذا على كل صور البيان ، وكان النحو العربى واحدا من هذه العلوم التى لحقها هذا الجحود وهذا النكران ، لأن القوم شغلوا عنه بماديات أخرى فى الحياة ، ولم تكن الدراسات الانسانية هى مبلغ همهم وهدف فكرهم ، وانما حلت محلها أشياء أخرى عزلت العقل العربى عن متابعة التراث والاضافة اليه ، ولم تكتف بهذا ، وانما شنت هجوما على كل ما هو قديم .

واذا التفتنا الى محاولة خبيثة مبكرة للنيل من النحو العربى فى القرن الرابع الهجرى وجدنا كيف نهض لها المدافعون وكأنهم يدافعون عن حوض العربية المصون وأعنى بهذه المحاولة ما أراده متى بن يونس بالنحو العربى حينما انبهر بمنطق أرسطو ففضل المنطق على النحو ، كيف وقف أبو سعيد السرافى مدافعا ، ومهما كان الرأى فى المناظرة

التى كانت بين الرجلين فهى من قريب تكشف موقف النحاة العرب ممن يحاول أن ينال من هذا العلم الذى قال فيه عالم العربية وقارىء من قـــراء الذكـر الحكيم على بن حمزة الكسـائى :

انما النحو قيـاس يتبع   وبه فى كل أمر ينتفع

وهذه الدراسة فى نقد النحو العربى تقع فى بابين :

الباب الأول : نقد القدماء والمحدثين ويقع فى فصلين ·

الفصل الأول منهما : نقد القدماء والفصل الثـانى : نقـد المحدثين ·

والباب الثـانى من هذه الدراسة : القضايا النقدية :

الفصل الأول : القراءات والنحو ·

الفصـل الثـانى : الحديث الشريف والنحو ·

الفصل الثالث : المنهج والأسلوب التعليمى ·

ثم ثبت المراجع والفهرس ·

ولقد ابتغيت بهذه الدراسة وجه الله تبـارك وتعـالى بوصفى واحدا من جنود العربية الذين أخلصوا لها الدين القيم وآمنوا بأصالة لغة القرآن الكريم واعتدوا بالاصول دراسة ومنهجا ، وتبينـوا أن علماء العربية كانوا قـدوة وأمثلة ومنارات نهتدى بهـا لأنهم وحدوا بين العلم والخلق وأكدوا أن النظر الثاقب والفكر المستنير لا تطفئهما تيارات لاتستطيع الدفاع عن كيانها ·

ولله العـزة ولرسوله وللمؤمنين ·

المؤلف

الباب الأول

فى نقـد القـدماء والمحـدثين

الفصل الأول

نقـد القـدماء

تنقل الينا بعض الدراسات القديمة على سبيل الامتاع والمؤانسة أن بعض الأعراب كانوا يضيقون بالنحو ، وأن اعرابيا كان يسخر مما ابتدعه النحاة ومما سموه لحنـا وما يسمى بالخفض والنصب والرفع ، وتندر ذلك الاعرابى بالمعارك التى أشعلها النحاة بين زيد وغيـره ، وواصـل الأعرابى حجتـه بأنه نشأ فصيحا فى أرض عربيـة ولـم ينشأ منشأ ببعيد عن الأرض العـربية الصليبة فقد نشأ الرجل بأرض لا يطـأ القرد والخنزير ساحتها وحجة هذا الأعرابى أنه اذ فهم عنه غيره مقولة فلتأخذوها ، وما لم يفهموه فليتركوه ويتحدث هذا الاعرابى عن بعض أقـوام يحتالون للغتهم ويشير الى اللغة التى تأتى سـليقة ويطبع عليها أصحابها ويتحدث عن المشـاهدة والعيـان والفرق بينه وبين ما تنقل اليهم اللغة رواية ·

قال الأعرابى :

ماذا لقيت مـن المسـتعربين ومـن   تأسيس نحوهم هـذا الذى ابتدعـوا

ان قلت قافيـة فيـه يكون لهـا   معنى يخالف ما قاسـوا وما وضعوا

قالـوا لحنت وهـذا الحـرف منخفض   وذاك نصب وهـذا ليس يرتفـع

وحرشــــوا بين عبد الله واجتهـــدوا
وبين زيد وطـــال الضرب والوجـع
انى نشـأت بأرض لا تشب بهــا
نار المجوس ولا تبنى بهــا البيـع
ولا يطـأ القـرد والخنزير ساحتها
لكن بهــا الهيق والسـيدان والصـدع
ما كـل قولى معروف لـكم فخذوا
ما تعـــرفون وما لم تعـــرفوا فدعـوا
كـم بين قـوم قـد احتالوا لمنطقهم
وآخرين على اعرابهـم طبعـوا (١)
وبين قـــوم رأوا شــيئا معـــاينة
وبين قوم رووا بعض الذى سمعوا

وواضح من هذه الأبيات أن مؤلفها أحكم القضايا التى أثارها ان صـح وكان النص لاعرابى كما نقـل صاحب الامتاع والمؤانسة ·

والقضايا التى أثارتها الابيات توجه نقدا مباشرا الى النحاة وهى تشير الى ما يأتى :

أولا : الذين استعربوا أو طلبوا العربية من غير أهلها هؤلاء الموالى ، أسسوا نحـوا ابتداعا وليس قائمـا على السـليقة ·

هذا النحو فى رأيه لايمثل العربية وليس انعكاسا لها وانما هو من وضع عقول غريبة على العربية لا تمثلها ولا تعرب عن حقيقتها وسمتها ·

---

(١) الامتاع والمؤانسة ٢/١٣٩

ثانيا : هؤلاء النحاة فى رأيه يخطئون كـل من يتصدى لنحوهم ناقدا ، وكل من خالف هذا النحو فقد لحن وانحرف عن الصحة اللغـوية ، فسيفهم مصلت وسـهامهم مشرعة دائما للمخالفين لقواعدهم ، لايقبلون الرأى والرأى الاخر وانما هم جامدون لا يأخذون من اللغـة مرونتهـا ولا من اللسان ليونتـه ·

والناقد هنا يشير الى ما خالف فيه النحـاة الشعراء وكتب النحو تزخر بما كان من خلافات لعل أبرزها ما كان بين الحضرمى والفـرزدق شاعر العربيـــة حتى اضطره الحضرمى الى الهجاء المشهور الذى قال فيه :

لئن كان عبد الله مولى هجـوته
ولـكن عبـد الله مولى مواليـا

ثالثـا : أشار النـاقد فى نقده المبكر الى أمثلة النحاة فى مثل ضرب عبد الله زيدا أو ضرب زيـد عمـرا ، على أسـاس أنهم مثلوا لفعل قوى وهو فعل الضرب وهو يمثـل كذلك طبيعة العربى المحاط بالعدو القريب من غير حلفائه ومن البعيد من غير أرومته ، عاب الناقد ما سماه تحرشـا بين عبد الله وزيد حتى « طـال الضرب والوجـع » وهذه أمثلة تعليمية يلجأ اليها النحاه المعلمون حتى لا يعـددوا الأمثلة ولا يكثروا من الاستشهاد حتى تتمثل القاعدة بارزة أمام المتلقى ·

رابعا : النـاقد الاعرابى السلوقى يتحدث عن قضـية مهمة ملخصها :

ولست بنحوى يلوك لسانه   ولكن سلوقى أقول فيعرف

يقول انه نبت من أرض عربيـة وعاش عليهـا وعرف العربية سليقة ولم يعرفها اكتسابا فلم ننشأ فى أرض غربية معرضا ببعض المعتقدات الأخرى ·

من هنا يقول بصوت مرتفع خذوا ما تعرفون من تولى واتركوا مالا تعرفون فلست من هؤلاء الذين يمارون فى القول ولست من الذين يحتالون لمنطقهم وانما أنا من هؤلاء الذين « على اعرابهم طبعوا » لغته سليقة لسانا وليست سماعا .

وهذا اعرابى آخر يؤكد أن حديث النحاة عن النحو وان كان بلسان عربى الا أنه لايفهم فهو نوع من طنطنات الزنج والروم . يقول :

ما زال أخذهم فى النحو يعجبنى
حتى سمعت كلام الزنج والروم (٢)

ووقف اعرابى على مجلس الأخفش الاوسط(النحوى البصرى المعاصر لسيبويه) فسمع كلام أهله فى النحو وما يدخل معه ، فحار وعجب ، واطرق ووسوس ، فقال له الاخفش : ما تسمع يا أخا العرب ؟ قال : أراكم تتكلمون بكلامنا فى كلامنا بما ليس من كلامنا » (٣) .

وهذا القول الأخير يلخص القضية حينما يشير الى مصطلحات النحويين وما خلعوه على النحو من مسميات واثارتهم القضايا المتعلقة بالرفع والنصب والخفض أو المبنى والمعرب أو النكرة والمعرفة والمصروف والممنوع من الصرف والاعلال والابدال والتقديم والتاخير الى غير ذلك من المصطلحات التى زخرت بها كتب النحو العربى وما تبع ذلك من جدل قصر حينا وطال أحيانا ، وهذا أمر لايستوعبه من يتكلم العربية سليقة ، وانما هى قضايا تهم الموالى من المتعلمين ، وتهم معلميهم الذين اختاروا لهم المصطلحات والقضايا .

---

(٢) الامتاع والمؤانسة ٢/١٣٩ .

(٣) نفسه .

وبلغت حدة النقد مبلغا حتى وصفه بعض نقاد النحو بأنه علم أصابه بالملل وأتعب نفسه وجسمه ، على الرغم من أنه يعلم ظاهره وباطنه ، ولكنه لم يستسغ مسألة الاضمار ، اضمار أن فى الحروف التى لا تنصب بنفسها ، ومعروف أن أى حرف غير أن لا ينصب بنفسه الفعل المضارع كما ذهب الخليل وانما الناصب أن المضمرة ، لم يتحمل « دماغ » هذا الاضمار حتى خاف أن يجن فكتب الى بكر المازنى يقول :

تفكرت فى النحو حتى مللت … وأتعبت نفسى به والبدن
فكنت بظاهره عالما … وكنت بباطنه ذا فطن
خلا أن بابا عليه العفاء … فى النحو يا ليته لم يكن
اذا قلت : لم قيل لى هكذا … على النصب قيل باضمار أن
فقد خفت يا بكر من طول ما … افكر فى أمره أن أجن

والجاحظ بأسلوبه الساخر لم يترك النحاة دون نقد واعتبر النحاة تجارا يغربون فى كتبهم حتى يفيدوا نفعا ماديا فهذا شيخ من شيوخ النحاة ، هو أبو الحسن الاخفش الذى يقول فيه الجاحظ :

« قلت لابى الحسن الاخفش : أنت أعلم الناس بالنحو، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلها ؟ ومابالنا نفهم بعضها ، ولا نفهم أكثرها ؟ وما بالك تقدم بعض العويص ، وتؤخر بعض المفهوم ، قال : أنا رجل لم أضع كتبى هذه لله ، وليست هى من كتب الدين ، ولو وضعتها هذا الوضع الذى تدعونى اليه قلت حاجتهم الى فيها .. وانما كسبت فى هذار التدبير ، اذ كنت الى التكسب ذهبت » (٤) .

---

(٤) الحيوان ١/٩١ الحلبى .

والرواية لو صحت تشير الى سخرية الجاحظ من كتب النحو التى يشوبها الغموض فى كثير من الأحيان فيما يراه ، ولكن هذا التفسير للنص يكشف عن جزئية نقدية ، وفى ظنى أن الجاحظ لايذهب الى التعمية أو الغموض الذى يشوب كتب الاخفش فى عصره ، لأن آراء الاخفش نلحظها فى كتاب سيبويه وفى كتب النحو التى جاءت بعده ، والقضية فى ظنى هى اختلاف منهجين ، منهج المعتزلة الذى يذهب الى التحرر العقلى واعمال العقل بطلاقة ومنهج هؤلاء الذين يبحثون عن قوانين العلوم ، القضية تمس الجاحظ الأديب فى صراعه مع معاصره الأخفش النحوى وواحد مثل الجاحظ تداعبه الفكرة ويداعبها ويأخذ فى تكوينها يوجزها تارة ويطنبها أخرى فهو يتعامل مع اللغة تعامل الأديب الذى لا يقبل أن تسيطر عليه القاعدة وانما هو يسيطر عليها بمرونة عباراته واتساعها وفى المقابل عقل الأخفش عقل نحوى يخضع لقوانين اللغة وكل ما أخذه من عصر الجاحظ أنه أفاد فاتسع بالقاعدة وخالف البصريين وهو واحد من أعلامهم ، ومهما أفاد من هذه المرونة فى القاعدة الا أنه لا يستطيع أن يداعب اللغة مداعبة الجاحظ الساخر الناقد وكيف يضيق عليه النحاه ما اتسع من اللغة ، والجاحظ يستهدف توليد المعانى والغوص فى بحر اللغة الزاخر يغرف منه قدر استطاعته ، وهو يستطيع ، لاتستعصى عليه اللغة ، من هنا كان وقوف هذه المرونة فى مقابل هؤلاء الذين يتعاملون مع اللغة « القانون » بينما الجاحظ يتعامل مع اللغة « التعبير » ومن ثم ترانى أذهب الى أن القضية ليست مجرد أن الجاحظ : « يشكو من طريقة النحاه فى كتبهم : وأنهم وعلى رأسهم الاخفش يبنونها بناء شاقا ، به عسر ، وفيه تصعيب ، وما زال هذا العسر والتصعيب يزداد لكثرة ما وضع النحاة فى كتبهم من أقيسة وعلل وما تصوروا من محذوفات ومضمرات» (٥) .

(٥) الرد على النحاة ٤٧ .

وانما القضيه هى الخلاف بين الاديب واللغوى ، الاديب يضيق بقانون اللغة اذا أسرف فيه واللغوى حريص على كل ما يتعلق بالقاعدة مهما كانت تفريعاتها وما يلقاه الأديب من مغبة هذه التفريعات .

وليس الجاحظ هو الذى يستغلق عليه عويص الاخفش وانما هو الاسلوب الساخر الذى عرف به الجاحظ حينما أعلن أمام معاصرة ضيقه بتلك القيود التى وضعها النحاة لقوانين النحو ، وفى لمز واضح أراد أن يرمى النحاة بالتكسب فى هذا الأسلوب . فليس الغموض من طبيعة اللغة وانما الغموض يستهدف به (التكسب) وهكذا يعلن الجاحظ برمه بقوانين النحو ، أو قل ضيقه بالنحاة هؤلاء الذين تسلطوا على لغته وهو الأديب صاحب السلطان فى القدرة على التعبير واتخاذ اللغة لعبته يطوعها كيف يشاء يشكل منها كل ما هو جميل فاذا أراد النيل أخذ من مخاطبه هذا النيل وهذه السخرية بأسلوبه الجميل أيضا . القضية اذن لاتتعلق بعلم النحو وانما القضية متعلقة بتعبير النحاة، وشتان بين تعبير النحاة الجاف وتعبير الجاحظ الذى يجذب القارىء ويشده اليه شدا .

وظيفة النحو عند الجاحظ لا تتجاوز ما يؤديه الى السلامة من فاحش اللحن ومن مقدار جهل العوام فى كتاب ان كتبه وشعره ان أنشده ، وشىء ان وصفه ، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به ، ومذهل عما هو أرد اليه منه ، من رواية المثل والشاهد والخبر الصادق والتعبير البارع ، وانما يرغب فى بلوغ غايته ومجاوزة الاقتصاد فيه من لايحتاج الى تعرف جسيمات الامور والاستنباط لغوامض التدبر لمصالح العباد والبلاد والعلم بالأركان ، والقطب الذى تدور عليه الرحى . ومن له حظ غيره ، ولا مكان سواه ، وعويص النحوى لا يجرى فى المعاملات ولا يضطر الى شىء (٦) .

(٦) الكامل لابن الاثير ٢٧/٢٦/١ .

وظيفة النحو اذن الصحة اللغوية قراءة وكتابة خاصة بالنسبة للعوام والذين يشغلون أنفسهم بالنحو لايحتاجون الى تعرف الامور الكبيرة .

يقول الدكتور مصطفى منـدور : « الجاحـظ قلق من الاسراف فى طلب النحـو ، لان ذلك عنده أخـذ بالشكل ، وخضوع لمقولات تفـرض على اللغة ، ولا يعنى ذلـك أن صاحبنا كان ثائرا على القاعدة أو راغبا فى عزلهـا ، كل ما فى الامر ان يأخذ اللغة بشموليتها ، « بنظمها » وهو من أوائـل القـائلين بالنظم ، وأحس أن الغوص وراء مقولات النحو تجعله غاية أو تفصله عن النظـام الصوتى الذى تعرفه العربية ، الجاحظ عدد موقفـه ذاك لانه رجل بيـان ونقد ، وهكذا فهم آنذاك ، فصل أو شبه فصل بين الالفاظ والمعانى . واذا كانت القضـية قد تسربت الى الأدباء بعد طول الوقوف مع النحاة ومقولاتهم ، فلقد كان حسهم اللغوى سليما » (٧) .

ولكن الجاحظ لايسلم من مآخذ النحويين ، فابن جنى لا يسكت على رأى الجاحظ فى جزئية من جزئيات النحو .

يحكى عن الجـاحظ أنه قال ان النحـويين قالوا : ان أفعل الذى مؤنثه فعلى لا يجتمع فيـه الألف واللام ومن ، وانمـا هـو عيـن أو بالألف واللام ، نحو قولك : الافضـل وأفضل منك ، والأحسن وأحسن من جعفـر ثم قال : وقـد قال الأعشى :

فلست بالأكثر منهم حصى   وانما العزة للكاثر

يقول ابن جنى : « رحم الله أبا عثمان ، أما انه لو علم ان « من » فى هذا البيت ليست التى تصحب أفعـل للمبالغة ، نحو أحسن منك وأكرم منـــك لضرب عن هـذا القول الى

(٧) اللغة بين العقل والمغامرة . ١٣٨/١٣٧

غيره ، مما يعلو فيه قوله ، ويعفو لسداده وصحته خصمه . وذلك ان من فى بيت الاعشى انما هى كالتى فى قولنا : انت من النـاس حـر ، وهذا الفرس من الخيل كريم . فكـأنه قال : لست من بينهم بالكثير الحصى ، ولست فيهم بالاكثر حصى . فاعرف ذلك » (٨) .

وقد يأتى النقد على غير علـم بالقـاعدة تسرعا فى الأحكام دون تدقيق فى أصول القاعدة ، وهذا النقد العاجل يوقع صاحبه فى براثن المتخصصين ، بل قـد يوقعه فى مغبة تسرعه لانه لو دقـق ورجع الى الأصـول لمـا رنت أمامه شكوكه فى القاعدة ولمـا تركزت عنده أسباب البعـد عنهـا الحكم الحائل دونها . ومن هذا نسوق صورة من صور هذا النقد الذى يتسم بالتسرع .

ومما وجه للنحـويين من نقد ما نقله ابن جنى عن ابى عبيدة الذى قال فيه : « ما رأيت أطراف من أمر النحويين ، يقولون : ان علامة التأنيث لا تدخل على عـلامة التأنيث ، وهم يقولون (علقاة) وقد قال العجاج :

فـكر فى علقى وفى مكـور

قال ابن جنى : « يريد أبو عبيدة أنه قال (فى علقى) فلم يعرف التأنيث ، ثم قالوا مع هذا (علقـاة) أى فالحقوا تاء التأنيث الفه » (٩) .

وقال المازنى : « كان أبو عبيـدة أجفى من أن يعـرف هذا . وذلك أن من قال (علقاة) فالألف عنـده للالحاق بباب جعفر ، كألف ارطى فاذا نزع الهاء احال اعتقـاده الاول عما كان عليـه ، وجعل الألف للتأنيث فيمـا بعـد ،

(٨) الخصائص ١٨٦/١ .
(٩) الخصائص ١/٣٧٣ .

فيجعلها للالحاق مع تاء التأنيث ، وللتأنيث اذا فقد التاء ، ولهذا نظائر ·هى قولهم بهمى وبهماة ، وشكاعى وشكاعاة ومثل ذلك من الممدود قولهم : طرفاء وطرفاءة ، وقصباء وقصباءة ، وحلفاء حلفاءة وباقلاء وباقلاءة ، فمن قال : طرفاء وطرفاءة وقصباء وقصباءة ، وحلفاء وحلفاءة ، وباقلاء وباقلاءة · فمن قال طرفاء وطرفاءة ، وقصباء وقصباءة ، وحلفاء وحلفاءة وباقلاء وباقلاءة · فمن قال : (طرفا) فالهمزة عند التانيث ومن قال : طرفاءة فالتاء عنده للتانيث ، أما الهمزة على قولهم فزيادة لغير التانيث »(١٠)

يقول ابن جنى : « وأقوى القولين فيها عندى أن تكون همزة مرتجلة غير منقلبة ، لأنها اذا كانت منقلبة فى هذا المثال فانها عن الف التأنيث لا غير ، نحو صحراء وصلفاء وخبراء والحرشاء · وقد يجوز أن تكون منقلبة عن حرف لغير الالحاق ، فتكون فى الانقلاب لا فى الالحاق ، كألف علباء وحرباء » (١١) ·

ولعبد القاهر الجرجانى رأى فى الكلام على من زهد فى النحو وبيان خطئه فيما ذهب اليه ·

وعبد القاهر يرى أن صنيع من زهد فى النحو أشبه بأن يكون صدا عن كتاب الله وعن معرفة معانيه على الرغم من كون هؤلاء يعلمون أن الالفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الاعراب هو الذى يفتحها ، وأن الاغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها ، وأنه المعيار الذى لايتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه ، والمقياس الذى لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع اليه ، ولا ينكر ذلك الا من ينكر حسه ، والا من غالط فى الحقائق نفسه ، واذا كان الأمر كذلك فليت شعرى ما عذر من تهاون به وزهد فيه ولم يره أن يستسقيه من مصبه ، ويأخذه من معدنه ،

(١٠) الخصائص ١/٣٧٣ ·

(١١) الخصائص ١/٣٧١ ·

ورضى لنفسه بالنقص والكمال لها معرض وآثر الغبينة وهو يجد الى الربح سبيلا ·

ويرد عبد القاهر على هؤلاء الذين نقدوا النحو دون انكار مكان الحاجة اليه فى معرفة كتاب الله تعالى ، « وانما انكرنا أشياء كثرتموه بها وفضول قول تكلفتموها ، ومسائل عويصة تجشتم الفكر فيها ، ثم لم تحصلوا على شيء أكثر من أن تغربوا على السامعين وتعايوا فيها الحاضرين » (١٢) ·

يرد عبد القاهر على هؤلاء اذا كان مقصدهم مسائل التصريف التى استهدف بها النحويون الرياضة العقلية ليمكنوا القاعدة ويثبتوها فى أذهان المتلقين ، يقول : « فان بدؤا فذكروا مسائل التصريف التى يصيغها النحويون للرياضة ، ولضرب من تمكين المقاييس فى النفوس كقولهم : كيف تبنى من كذا كذا وكقولهم ما وزن كذا ، وتتبعهم فى ذلك الألفاظ الوحشية كقولهم : ما وزن عزويت (١٣) وما وزن أرونان (١٤) وكقولهم فى باب ما لا ينصرف لو سميت رجلا بكذا كيف يكون الحكم ؟ وأشباه ذلك · وقالوا : أتشكون أن ذلك لايجدى الا كد الفكر واضاعة الوقت ؟ قلنا لهم : أما هذا الجنس فلسنا نعيبكم أن لم تنظروا فيه ولم تعنوا به ، وليس يهمنا أمره فقولوا فيه ما شئتم وضعوه حيث أردتم ·

(١٢) دلائل الاعجاز ٨٠ ·

(١٣) ويكون على وزن فعليت نحو عفريت وهو صفة وعزويت وهو اسم ·

(١٤) انظر شرح امثلة سيبويه ص ٤٠ تحقيق المؤلف .

ويحصر عبد القاهر الموضوعات التى من خلالها يوجه نقاد النحو سهامهم ويعددون اعتراضاتهم فيرى أنها تنحصر فى :

أولا : أغراض واضع اللغة ووجه الحكمة فى ذلك .

ثانيا : تقرير المقاييس التى اطردت عليها اللغة .

ثالثا : ذكر العلل التى اقتضت أن تجرى على ما أجريت عليه كالقول فى المعتل وفيما يلحق الحروف الثلاثة التى هى الواو والياء والالف من التغيير بالابدال والحذف والاسكان . أو علة اعراب المثنى وجمع المذكر السالم على خلاف اعراب المفرد وعلة اتباع النصب الجر وكذلك النون، هل هى عوض عن الحركة والتنوين فى حال أو عن الحركة وحدها فى حال أخرى .

والعلة فى منع الاسم من التصريف :

يقول الجرجانى تعليقا على الآخذ بهذه العلل أو البحث فى قانون العلة : « انا نسكت عنكم فى هذا الضرب ونعذركم فيه ونسامحكم على علم منا بأن قد أسأتم الاختيار ومنعتم أنفسكم ما فيه الحظ لكم ، ومنعتموها الاطلاع على مدارج الحكمة وعلى العلوم الجمة . فدعوا ذلك وانظروا فى الذى اعترفتم بصحته ، وبالحاجة اليه ،هل حصلتموه على وجهه ، وهل أحطتم بحقائقه ؟ وهل وفيتم كل باب منه حقه ، وأحكمتموه احكاما يؤمنكم الخطأ فيه ، اذ أنتم خضتم فى التفسير وتعاطيتم علم التأويل ، ووازنتم بين الأقوال وبعض ، وأردتم أن تعرفوا الصحيح من السقيم ، وعدتم فى ذلك وبدأتم وزدتم ونقصتم ؟ » (١٥)

ويفرق عبد القاهر بين الذين يقفون على القاعدة بالمعنى العام وبين الذين يتخصصون فيها ويتحرون

(١٥) دلائل الاعجاز ٨٠ .

دقائقها وتفاصيلها ، فلا يكتفى طالب القاعدة بمعرفة صورة المبتدأ والخبر وأن اعراب كل منهما الرفع وانما ينبغى تجاوز هذا الى النظر فى أقسام الخبر وكيف يكون مفردا وجملة وأن المفرد منه ما يحتمل ضميرا له ومالايحتمل الضمير ، وأن الجملة على أربعة أضرب وأنه لابد لكل جملة وقعت خبرا لمبتدأ من أن يكون فيها ذكر يعود الى المبتدأ ، وأن هذا الذكر ربما حذف لفظا وأريد معنى ، وأن ذلك لايكون حتى يكون فى الحال دليل عليه ، الى سائر ما يتصل بباب الابتداء من المسائل اللطيفة والفوائد الجليلة التى لابد منها (١٦)

واذا نظر هؤلاء النقاد فى الصفة مثلا فعرفوا أنها تتبع الموصوف ، وأن مثالها قولك : جاءنى رجل ظريف ،ومررت بزيد الظريف : هل يظنون أن وراء ذلك علما ، وأن ههنا صفة تخصص وصفة توضح وتبين ، وأن فائدة التخصيص غير فائدة التوضيح كما أن فائدة الشياع غير فائدة الابهام وأن من الصفة صفة لايكون فيها تخصيص ولا توضيح ، ولكن يؤتى بها مؤكدة كقولهم : « أمس الدابر » وكقوله تعالى : « فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة . » وصفة يراد بها المدح والثناء ،كالصفات الجارية على أسماء الله تعالى جده ؟ وهل عرف هؤلاء النقاد الفرق بين الصفة والخبر ، وبين كل واحد منهما وبين الحال ؟ ، وهل عرفوا أن هذه الثلاثة تتفق فى أن كافتها لثبوت المعنى للشىء ثم تختلف فى كيفية ذلك الثبوت ؟ وهكذا ينبغى أن نعرض عليهم الأبواب كلها واحدا واحدا ويسألوا عنها بابا بابا ثم يقال : « ليس الا أحد أمرين : اما أن تقتحموا التى لا يرضاها العاقل فتنكروا أن يكون بكم حاجة فى كتاب الله وفى خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى معرفة الكلام جملة الى شىء من ذلك ، وتزعموا أنكم اذا عرفتم مثلا أن الفاعل رفع لم يبق عليكم فى باب الفاعل ما تحتاجون

(١٦) نفسه .

الى معرفته ، واذا نظرتم الى قولنا : زيد منطلق لم تحتاجوا من بعده الى شىء تعلمونه فى الابتداء والخبر .

ويثير عبد القاهر لهؤلاء الزاهدين فى تعلم النحو العربى قضية مهمة هى تفسير القرآن الكريم ، وكيف أن الذين لا يعرفون قواعد العربية وأساليبها لا يستطيعون أن يتبينوا تفسير اية من آيات الكتاب الكريم وكيف أنهم يقفون حيارى أمام بعض ما تعن لهم من كلمات داخل النص لا يستطيعون تعليلها أو تخريجها ومنأمثلة ذلك وجه الرفع فى « الصابئون » فى قوله تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى » (١٧) برفع « الصابئون » على الاستئناف أو على موضع ان وليس على موضع اسمها ، يقول عبد القاهر : « وحتى تزعموا مثلا أنكم لا تحتاجون فى أن تعرفوا وجه الرفع فى « الصابئون » من سورة المائدة الى ما قاله العلماء فيه والى استشهادهم بقول الشاعر : (١٨)

والا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا فى شقاق

وحتى كان المشكل على الجميع غير مشكل عندكم . وحتى كأنكم قد أوتيتم أن تستنبطوا من المسألة الواحدة من كل باب مسائله كلها ، فتخرجوا الى فن من التجاهل لايبقى معه كلام ، وأما أن تعلموا أنكم قد أخطأتم حين أصغرتم أمر هذا العلم ، وظننتم ما ظننتم فيه ، فترجعوا الى الحق وتسلموا الفضل لأهلة وتدعوا الذى يزرى بكم ويفتح باب العيب عليكم ويطيل لسان القادح فيكم » (١٩)

---

(١٧) آية ٦٩ من سورة المائدة .

(١٨) هو بشر بن أبى حازم .

(١٩) انظر دلائل الاعجاز ص ٦٣ .

ولعل حدس عبد القاهر قد أصاب فيم يقع فى خطأ تفسير مثل هذه الكلمة ليس معاصروه فحسب وانما تجاوز الأمر هؤلاء الى خالفى الخالفين من هؤلاء المستشرقين الذين أرادوا أن يحرفوا الكلام عن مواضعه ومن أمثلة هؤلاء يوهان فك .

يقول عبد القاهر ردا على هؤلاء الزاهدين فى تعلم النحو : « لو أن هؤلاء القوم ، اذ تركوا هذا الشأن ، تركوه جملة ، واذا زعموا أن قدر المفتقر اليه قليل منه ، اقتصروا على ذلك القليل ، فلم يأخذوا أنفسهم بالتقوى فيه ، والتصرف فيما لم يتعلموا منه ، ولم يخوضوا فى التفسير ولم يتعاطوا التأويل - لكان البلاء واحدا ، ولكانوا اذا لم يبنوا لم يهدموا ، واذا لم يصلحوا لم يكونوا سببا للفساد ، ولكنهم لم يفعلوا ، فجلبوه من الداء ما أعيى الطبيب وحير اللبيب » (٢٠)

أما عبد الرحمن بن اسحق الزجاجى (ت٣٣٧هـ) وهو من تلاميذ الزجاج فقد أكد الفائدة فى تعلم النحو فقال : « الفائدة فيه الوصول الى التكلم بكلام العرب على الحقيقة صوابا غير مبدل ولا مغير ، وتقويم كتاب الله عز وجل ، الذى هو أصل الدين والدنيا والمعتمد ، ومعرفة أخبار النبى صلى الله عليه وسلم ، واقامة معانيها على الحقيقة ، لانه لاتفهم معانيها على صحة الا بتوفيتها حقوقها من الاعراب وهذا ما لايدفعه أحد ممن نظر فى أحاديثه صلى الله عليه وسلم وكلامه . وقد قال الله عز وجل فى وصف كتابه : (انا أنزلناه قرآنا عربيا) وقال : (بلسان عربى مبين .) وقال : (قرآنا عربيا غير ذى عوج .) (٢١)

---

(٢٠) نفسه .

(٢١) الايضاح فى علل النحو ص ٩٥ تحقيق مازن المبارك .

ويضيف الزجاجى بعد هذه الأسباب قوله : « وبعد فأدب العرب وديوانها هو الشعر ، ولن يمكن أحد من المولدين اقامته الا بمعرفة النحو . ولا يطيق أحد من المتكلفين قول الشعر أن يتعاطى قوله الا بعد اتقانه وجوه العربية ، فان تكلفه منهم متكلف غير عارف بالعربية خبط فى عشواء ، وبان عواره للخاصة فى أقرب مدة . » (٢٢)

وواضح من موقف الزجاجى توظيف النحو لأنه مرتبط بنصوص العربية وهذه النصوص قائمة على قواعد وهذه القواعد هى الكاشفة عن المعانى المبينة للدلالات ، خاصة اذا كانت المعانى مرتبطة بالقرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربى الذى هو ديوان العرب أودعوه تجاربهم ووصفهم وأفراحهم .

ويقوم رأى الزجاجى على الأسباب الآتية :

أولا : الفائدة فى تعلم النحو معرفة لغة العرب على حقيقتها ، ومعرفة اللسان العربى فى أصوله دون تبديل أو تحريف .

ثانيا : معرفة قيمة كتاب الله عز وجل لأنه بلسان عربى مبين ولا يفهم كتاب الله العربى من لا يعرف قواعد اللسان العربى .

ثالثا : يرتبط بمعرفة كتاب الله عز وجل معرفة أحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم لأنها بلسان عربى وجاءت على لسان أفصح العرب .

رابعا : نقل الزجاجى عن شيخه الزجاج عن المبرد أن بعض السلف كان يحث على تعلم العربية لأنها المروءة الظاهرة وهى كلام الله وأنبيائه وملائكته .

---

(٢٢) الايضاح فى علل النحو ص ٩٥ .

خامسا : دعا الخليفة الراشد عمر بن الخطاب الى تعلم العربية لأنها تثبت العقل وتزيد فى المروءة ، واللحن فى القرآن الكريم افتراء كما وصفه عمر بن الخطاب .

سادسا : يعجز الأعاجم والمولدون عن اقامة الأدب العربى دون معرفة بالنحو .

سابعا : لا يستطيع من لا يعرف قواعد العربية على حقيقتها أن يقرض الشعر الا اذا أتقن قواعد اللسان العربى فان تكلف الشعر دون معرفة لقواعد العربية تخبط وظهرت عيوبه .

وجمال الدين بن هشام الأنصارى (ت٧٦١هـ) صاحب كتاب مغنى اللبيب يرى أن « أولى ما تقترحه القرائح ،وأعلى ماتجنح الى تحصيله الجوانح ماتيسر به فهم كتاب الله عز وجل المنزل ، ويتضح به معنى حديث نبيه المرسل ، فانها الوسيلة الى السعادة الأبدية ، والذريعة الى تحصيل المصالح الدينية والدنيوية ، وأصل ذلك علم الاعراب ، الهادى الى صوب الصواب . » (٢٣)

وابن خلدون فى مقدمته يؤكد هذه الأهداف ، فيقول : « اللسان العربى أركانه أربعة وهى اللغة والنحو والبيان والأدب ، ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة ، اذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة ، وهى بلغة العرب ، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب ، وشرح مشكلاتها من لغاتهم ، فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة . » (٢٤)

ويرى ابن خلدون أن علوم اللسان « تتفاوت فى التأكيد بتفاوت مراتبها فى التوفية بمقصود الكلام حسبما يتبين

---

(٢٣) مقدمة مغنى اللبيب .

(٢٤) المقدمة ص ٥٤٥ التجارية .

في الكلام عليها فنا فنا . والذى يتحصل أن الأهم المقدم منها هو النحو اذ به تتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر ، ولولاه لجهل أصل الافادة ، وكان من حق علم اللغة التقدم لولا أن اكثر الأوضاع باقية فى موضوعاتها لم تتغير ، بخلاف الاعراب الدال على الاسناد والمسند اليه ، فانه تغير بالجملة ولم يبق له أثر فلذلك كان علم النحو أهم من اللغة اذ فى جهله الاخلال بالتفاهم جملة ، وليست كذلك اللغة . » (٢٥)

وسواء اتفقنا أو اختلفنا مع ابن خلدون فى علاقة النحو باللغة فاننا قد وقفنا على رأيه فى علم النحو ؛ فاذا كان مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهذه الأحكام الشرعية كلها بلغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب وشرح مشكلاتها من لغاتهم فلابد من معرفة علوم اللسان وهذه العلوم تتفاوت فيما بينها فى التعرف على المعانى والأهم المقدم من هذه العلوم هو النحو للوقوف على أصول المعانى ولولا هذا العلم لجهل أصل الافادة .

ولست فى حاجة الى الحديث عن موقف ابن مضاء القرطبى من النحاة لأننى أشرت اليه فى موضوع آخر(٢٦) وحسبنا أن نشير هنا الى أن موقف ابن مضاء كان يستهدف النحاة وتقديراتهم التى فى ظنه لم تكن فى ذهن المتكلم الذى أدلى بعباراته ولم يكن يفكر فى افتراضات النحاة .

ويعترض ابن مضاء على تقدير العوامل المحذوفة فى مثل قولنا : (زيدا) بمعنى أعط زيدا ، فنحذفه وهو مراد

---

(٢٥) المقدمة ٥٤٥ .

(٢٦) انظر كتابنا : صور الاعراب ودلالاته سجل العرب . وانظر مقدمة كتاب الرد على النحاة لابن مضاء بتحقيق استاذنا الدكتور شوقى ضيف .

ومنه قول الله تعالى : (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا .) وقوله تعالى : (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو) على قراءة من نصب وكذلك من رفع ، وقوله عز وجل : (ناقة الله وسقياها) . والمحذوفات فى كتاب الله تعالى لعلم المخاطبين بها كثيرة جدا ، وهى اذا أظهرت تم بها الكلام ، وحذفها أوجز وأبلغ . ومن هذا المحذوف مالا حاجة بالقول اليه ، بل هو تام دونه وان ظهر كان عيبا كقولك : (أزيدا ضربته) قالوا انه مفعول بفعل مضمر تقديره : أضربت زيدا ، يقول ابن مضاء : (وهذه دعوى لا دليل عليها الا مازعموا من أن ضربت من الأفعال المتعدية الى مفعول واحد ، وقد تعدى الى الضمير ، ولابد لزيد من ناصب ان لم يكن ظاهرا فمقدر ، ولا ظاهر فلم يبق الا الاضمار ، وهذا بناء على أن كل منصوب فلابد له من ناصب ، وياليت شعرى ما الذى يضمرونه فى قولهم : (أزيدا مررت بغلامه .) وقد يقوله القائل له مايضمر والقول تام مفهوم ولايدعو الى هذا التكلف الا وضع كل منصوب فلابد له من ناصب .

والقسم الثالث فهو مضمر اذا أظهر تغير الكلام عما كان عليه قبل اظهاره ، كقولنا : (يا عبد الله) ، وحكم سائر المناديات المضافة والنكرات حكم عبد الله ؛ وعبد الله عندهم منصوب بفعل مضمر تقديره أدعو أو أنادى . وهذا اذا أظهر تغير المعنى . وصار النداء خبرا . » (٢٧)

وفى ظنى أن نقد ابن مضاء وارد من باعثين رئيسيين :

الباعث الأول : ليس موضوعيا وهو باعث التعصب ضد المشارقة ، والأمثلة كثيرة فى غير كتب النحو أو الرد على النحاة ؛ فابن شهيد الأندلسى يؤلف التوابع والزوابع

---

(٢٧) الرد على النحاة ص ٨٠ .

وهى رحلة شعرية يعارض بها كبار شعراء المشرق من الجاهليين والاسلاميين .

ويتبارى مع هؤلاء الشعراء فى مناظرة شعرية أو قل فى مظاهرة شعرية يضع من خلالها مقطوعات الشعر لكبار الشعراء ويعارض أشعارهم بشعره هو وكأنه يقول هؤلاء كبار الشعراء ، وهأنذا أمام هؤلاء الكبار وحدى وشعرى لايقل عن مستوى شعرهم ، وهذه الرحلة كانت بين الجنة والنار والمحاولة جيدة مفيدة ولكنها فى الوقت نفسه كاشفة عن أسلوب نقدى عند ابن شهيد .

وكذلك نجد عند ابن حزم محاولات التجديد ومحاولات نقد المشرق والأخذ بالمذهب الظاهرى وابن مضاء القرطبى يؤكد هذه المنافسة بين علماء المغرب وعلماء المشرق ، وكانت محصلة هذه المنافسة هذه الأعمال والدراسات التى أفادت وكشفت لنا رائحة الأندلس الطيب ونشرت نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب .

الباعث الثانى : نقد أسلوب النحاة فى التعامل مع القواعد النحوية ، ومن هذ النقد موضوع العامل ولنقف معه على أمثلة فى النداء ، ورأيه فى عامل النداء مردود ، ذلك أن نحاة البصرة الذين تصدوا لوضع قواعد العربية وضعوا المشبهات والقريبة منها بعضها مع البعض ، فان مثلا تشبه الفعل المضارع أوكد ، واسم ان يشبه المفعول وذلك وصولا منهم لعلة نصب اسم ان ، ويذكر سيبويه باب ان وأخوتها بعنوان : باب الأحرف الخمسة المشبهة بالأفعال ، ويعزى الى هذا القياس وضع القاعدة النحوية وتبويبها ومنهجتها على هذه الأصول من التشبيهات ، ومن ثم بحثوا عن علة نصب المنادى فذكروا أن حرف النداء نوع من الاختصار لفعل أدعو أو أنادى ، والعرب يميلون فى لغتهم الى الايجاز ، والمنادى مفعول والمنادى الفاعل

مستكن ، وهذا على سبيل التشبيه لا على سبيل الحقيقة التى تصورها ابن مضاء .

ويفسر قول البصريين أبو سعيد السيرافى فيقول :

« جعل سيبويه وسائر البصريين المنادى بمنزلة المفعول به ، وجعلوا الأصل فى كل منادى النصب ، والنصب بتقدير أدعو أو أنادى وما أشبه ذلك . ولا أحب تحقيق هذا ولا القول به الا على جهة التقريب والتمثيل لأنهم قد أجمعوا أن النداء ليس بخبر وقولنا أدعو أو أنادى اخبار عن نفسك » (٢٨)

ويرى السيرافى أنه لما احتاج المنادى الى عطف الاسم المنادى على نفسه واستدعائه اياه ليقبل عليه فيخاطبه بالذى يريد احتاج الى حرف يصله باسمه ليكون تصويبا به وتنبيها له وهو يا وأخواتها وهو شئ يحرك به المنادى فصار المنادى كالمفعول بتحريك المنادى له وتصويته . والمنادى كالفاعل ولا لفظ له وصار بمنزلة الفعل الذىيذكره الذاكر فيصله بمفعول ظاهر وفاعل مضمر مقدر فهذا ما يستحقه المنادى فى الأصل . » (٢٩)

---

(٢٨) شرح السيرافى ق ٦٠ مجلد ٣٠ .

(٢٩) نفسه ق٦٠ مجلد ٣ .

الفصل الثانى

نقد المحدثين

اذا كانت نظرة القدماء للنحو العربى نظرة اجلال وتقدير لاستهدافهم بالنحو لغة القرآن الكريم ، حيث جعلوا هذا العلم طريقا الى تقويم كتاب الله الكريم ، ومفتاحا لتفسير آيه ، فان المحدثين اختلف بهم الأمر اختلافا كبيرا ، فقد ضاق بالنحو الكثيرون ، ولم يكتفوا بهذا الضيق ، وانما عكسوه على تلاميذهم ،فأمسى المعلم والتلميذ كلاهما يكرهان هذا العلم كرها شديدا ، وأمسيا يؤديان مسائله وقواعده تأدية وظيفية مرتبطة بمنهج لايكاد يقرب الطالب من معالم هذا العلم .

وتحول النحو العربى الى قواعد مفرغة من المضمون ، بعيدة عن كشف مواضع الجمال فى النص والوقوف على مايشتمل عليه من دلالات .

وانقسم الذين ضاقوا بالنحو ، فمنهم من طالب باحياء النحو الذى تصوره جثة هامدة أو كائنا لا حراك فيه ،فأراد أن يستلهم الأساليب لاحيائه ، وتصور أنه يأتى بالجديد فاذا هو يعتمد على أقدم الكتب فيما تناوله من آراء ، وانتهى فى تجديده من حيث بدأ القدماء .

وتحول النحو فى الجامعات والمعاهد المتخصصة الى مذكرات مبتسرة تلخص القاعدة وتركز عليها ، فاذا حان الامتحان لخص الملخص وتخرج طالب الجامعة المتخصص دون تخصص ، ولايكاد يقيم جملة صحيحة .

ونأت الدراسة الجامعية عن الفكر النحوى الخصب الذى كان ثمرة الجهود الصادقة للعلماء منذ القرن الثانى الهجرى .

واذا كان النحو العربى قد اعتلى مكانة مرموقة فى علوم اللسان منذ القرن الثانى الهجرى بوصفه الواضع لقوانين العربية ، الضابط لأحكامها ، فى نسق سديد وقياس مطرد ، فان هذا العلم لم يأخذ مكـانه من الرعاية والاهتمـام فى العصر الحديث ، على الرغم من التأليف فيه فى تصـانيف لم تعط هذا العلـم حقه ، وما ألف فيه فى العصر الحـديث لايعدو أن يكون رصـدا للقاعدة النحوية بشوهدها دون التماس مواطن الجمال فى التحليل الاعرابى ·

وكثر النقد لعلم النحو الأمر الذى انعكس على المؤلفات التى تصدت له ، فألف النحـو المعقـول والنحـو الوظيفى والنحو الواضح والنحو الوافى والنحو المصفى ·

وممن ضاقوا بهذا العلم وهاجموه هجوما شديدا هؤلاء الذين درسوا العربية بمناهج الغرب،فتأثروا هذه المناهج، واعتبروا النحو العربى قيدا على اللغة وليس قانونهـا ·

والغريب أن لكل اللغات الحية مثلا نحوها ، فى الألمانية والانجليزية والفرنسـية وغيرها ، وفى اللغـة اللاتينية القديمة ، ولكننا لم نسمع بمثل هذا الهجـوم الشديد على قواعد النحو فى اللغات الأجنبية ، وانمـا النقد كل النقد ، على سبيل النقض لا على سبيل النقد ، للنحو العربى وكأنه لا يمثل مراحل التفكير المختلفة للانسان العربى ·

والتركيز على ضعف النحو العربى عند المثقفين ، وفى منارات الثقافة المختلفة ، يتسم بالجزئية ، وهو انعكاس لما وصل اليه الانسان العربى ؛ فلا نستطيع أن نزعم أن اللغة العربية بلغت مكانها المرموق عند المعاصرين ، ولا نستطيع أن نزعم أن الانسان العربى يتحمس للغة العربية بخاصة وللدراسات الانسانية بعامة ، ذلك أن الاتجاه المادى أثر كثيرا على الدراسـات الانسـانية ، وأمسى الكتاب بوصفه

دعـامة من دعامات الثقـافة لا يحتل مكـانه الجدير به فى الوقت الحاضر ، وصارت هناك وسـائل مختلفة للاعلام والتثقيف والترفيه نازعت الكتاب مكانه ، وأصيب الانسان بالكسل العقلى ، لأنه يعتمد على المشاهدة والسماع لوسائل الاعلام ، وأمسى الانسـان المثقف قارئا سريع القـراءة ، بمعنى أنه اعتمد على القراءة الصحفية ، وهى قراءة تتسم بالسرعة لأحداث يومية ولأفكار تتسم بالخفة وعدم التعمق فى كثير من الأحيان ·

وأمسى كثير من جنود العربية يسـارعون الى وسـائل الاعلام يسهمون فيها بآراء مبتسرة لا تمكن صـاحبها من التعمق ·

ولا نستطيع أن نزعم أن القصة ، رواية وقصـة قصيرة ، بلغت أوج مكانها فى حاضرنا ، ولا نسـتطيع أن نزعم أن المسرح بلغ كماله أى هو فى سبيله الى هذا الكمال ،ولا نظن أن وسائل الثقافة بلغت درجات من الكمال والاجتهاد يبعث فينا الاطمئنان ؛ فما مكان النحو اذن وسط هذه التيارات ؟ اذا ليست القضية مرتبطة بالنحو العـربى فحسب وانمـا تدب جذورها فى كل عناصر الثقافة ·

وبالأمس ؛ الأمس البعيد حينما كان الانسـان العـربى صاحب قوة وسلطان سيطرت العربية على كثير من البلاد المفتوحة ، ودخل النـاس فى دين الله أفواجا ، وتعلمـوا العربية وتعمقوا فيها وألف منهم فى أصـول العربية وفى لغتها ولهجاتها مايزال يعيش يعطى أكله كل حين باذن ربه ·

واذا رجعنا الى الأسباب التى دعت الى العناية بالنحو العربى لأدركنا أن هذه الأسـباب نفسها اذا توافـرت فى وقتنا الحاضر لبلغ هذا العلم مكانه المرموق ·

وهذه الاسباب ترجع الى البواعث الدينية وذلك بالحرص على نصوص القرآن الكريم ، وحفظها بعيدة عن اللحن والخطأ ، والباعث القوى الذى يؤكد أن العربى كان يعتز بلغته اعتزازا شديدا ، وهو اعتزاز جعلهم يخشون على هذه اللغة من الفساد حين اختلط العربى بالاعجمى ، الأمر الذى جعله يحافظ على قواعدها وقوانينها .

والهدف الاجتماعى الذى كان نتيجة أن الشعوب المستعربة أدركت الحاجة الشديدة لمعرفة قواعد العربية حتى تتمكن من معرفة اللغة العربية وصولا الى فهم نصوص القرآن والحديث ولكى لا تتخلف عن ركب التقدم العربى .

ومن هذه الأسباب التى دفعت القدماء الى النهوض بهذا العلم رقى العقل العربى فى سبيله الى التطور الأمر الذى جعله ينهض بعبء الحفاظ على قواعد العربية ووضع هذه القواعد فى علم متكامل الأصول قائم على العلة والمعلول والقياس .

يقول أستاذنا الدكتور شوقى ضيف مؤكدا هذا المعنى : « رقى العقل العربى ونمو طاقته الذهنية نموا أعده للنهوض برصد الظواهر اللغوية وتسجيل الرسوم النحوية تسجيلا تطرد فيه القواعد وتنتظم الأقيسة انتظاما يهىء لنشوء علم النحو ووضع قوانينه الجامعة المشتقة من الاستقصاء الدقيق للعبارات والتراكيب الفصيحة ومن المعرفة التامة بخواصها وأوضاعها الاعرابية . »

واذا نظرنا الى هذه البواعث والأسباب التى منها الحرص على أداء نصوص القرآن الكريم أداء سليما ، بالاضافة الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وشعر العرب ونثرهم ، لوجدنا هذه البواعث لا تشد اليها الا المتخصصين أو الذين خلصوا لدين الله وللغتهم .

ومازال الشعر العربى غريبا على الكثيرين لا يعنون بقراءته وتتبعه ، ودواوين الشعر لا يرجع اليها الا الباحثون المتخصصون ، على الرغم من أنها تحمل زادا يشبع من يريد معرفة ديوان العرب ، فقد كان الشعر ديوانهم ، وكانوا يودعونه تجاربهم وحكمتهم ووصفهم ومعاركهم وغزلهم ومدحهم وهجاءهم .

أما الباعث القومى فنحن لا نشك فى أن العرب يعتزون بلغتهم ولكنه فى عصرنا الحديث اعتزاز وجدانى عند المتخصصين منهم فى الثقافة العربية بعامة والتراث بخاصة ، والكثيرون ضاقوا بالعربية وجعلوا يهاجمونها ويسمونها بالصعوبة والتعقيد ولا يتهمون أنفسهم بانعدام الولاء ، وكان القدماء يخافون على العربية من اختلاطها بلغة الأعاجم أما نحن فقد بهرتنا لغاتهم على حساب لغتنا العربية ، وكان من الممكن الافادة من الدراسات اللغوية المقارنة مع التأكيد على أصول العربية ، لغتنا العريقة .

وتجمل الاشارة هنا الى أنه من الذين تصدوا لنقد النحو العربى مجموعة من غير المتخصصين ، وفى الوقت نفسه لانزعم أنهم ليسوا من المهتمين بهذا العلم ، وانما عنوا به وهم ما بين متحمس له ومنكر له أيضا ، وأزعم أن كثيرا من الذين أدلوا بآرائهم فى النحو العربى لم يستكملوا أداة النقد ،ومن ثم يمكن تصنيف هؤلاء النقاد الى الفئات الآتية:

أولا : الذين ضاقوا بالنحو سماعا ، بمعنى أن هؤلاء لم يرتبطوا بالقواعد النحوية ولم يألفوها ، وانما جاروا مجرد مجاراة ـ الذين ضاقوا بالنحو العربى ، وهاجموه ،فانتظاما

مع اتجاه التيار جرفتهم آراء الآخرين فاستجابوا لها دون تعامل مباشر مع هذا العلم ·

ثانيا : من هذه الفئات بعض المبعوثين الذين التحقوا بجامعات أوربية ، ودرسوا مناهج الغرب وتعلموا على الأجانب من المستشرقين وبدعوى الخلوص العلمى والموضوعية ألتى فى روعهم أن المحايدة تقتضى عدم الالتزام بالتراث ، وكذلك من الممكن مهاجمة هذا التراث بدعوى التطور وعدم السلفية ، ومن هؤلاء من ذهب بعيدا حتى وقف من التراث عامة موقف العداء ، ومن النحو العربى خاصة وقف موقفا أكثر عداء وانكارا · فاذا نقد المستشرقون النحو مع شىء من الحرص والتحرج ، وقف هؤلاء موقف الهجوم والجرأة ·

ثالثا : كثير من الذين تصدوا لنقد النحو لم يأخذوا بأسباب النقد الموضوعية ؛ فلم يطلعوا على ما ترك النحاة من تراث زاخر فى هذا العلم ، ولم يحاولوا أن يقفوا على دقائق المسائل النحوية ، ومن ثم كانت أحكامهم صرخات فى واد سحيق لايكاد يسمع منها الا الصدى ، ولا يلبث هذا الصدى أن يتلاشى ، لأنه لم ينعكس عن صدق التجربة وانما كان انعكاسا لمواقف التردى الثقافى وعدم التعمق ·

رابعا : حينما تحولت الجامعات وخاصة الأقسام المتخصصة منهجيا الى جدولة اللغة العربية ان صح التعبير وذلك بتقسيم العربية الى دروس اللغة والأدب ، دب صراع بين المتخصصين ، وبدأ هذا الصراع خفيا ، ثم أخذ يسمع صوته دبيبا حثيثا حتى علا صوت المعارضة بين متخصصى الأدب واللغة وكأنهم لا يأخذون من منهل واحد هو منهل اللغة العربية العذب ؛ ومن النادر أن تجد واحدا من المتخصصين فى الأدب الحديث على سبيل المثال أو الأدب المعاصر ينظر الى علم النحو نظرة تقدير وموضوعية ،

أليسوا متخصصين فى الحديث والمعاصر ، فما علاقتهم بالقديم السالف ، ويستثنى من هؤلاء الذين درسوا فى النصف الأول من هذا القرن على شيوخ العربية واتسمت كتاباتهم بالموضوعية ،أما هؤلاء الذين تنكروا للقديم فقليلا ما تجد من بينهم من ينقد النحو نقدا موضوعيا ·

خامسا : هناك من وقفوا نقادا لهذا العلم بغير الموضوعية بسبب بعض التجارب التى خاضوها مع المعلمين الذين درسوا لهم علم النحو فى وقت مبكر وتركت التجربة فى نفوسهم تأثيرا عكسيا وألقت فى نفوسهم ضيقا، واحتسوا مرارة سوء تصرف بعض المعلمين الذين حولوا العملية التعليمية الى سيف مصلت على رقاب تلاميذهم وحشدوا فى رؤوسهم من الأمثلة المفرغة من المضمون البعيدة عن مواطن الجمال والابداع ماشغلهم عن الأحداث التى يستهدفها علم النحو ·

ولنقف على بعض الأمثلة التى تصور من قريب بعض مواقف بعض النقاد ونعرض لآرائهم مناقشين لها كاشفين عن مظانها ·

من أمثلة الوقوف من النحو العربى موقف الرفض والنقض وليس النقد ماقام به أستاذنا الدكتور ابراهيم أنيس صاحب الجهود اللغوية المخلصة فى أسرار العربية ، والرجل أستاذ له شأنه بين تلاميذه وأنا واحد منهم ، ولكن يبدو أن تأثر بعض شيوخنا بمناهج الغرب فى مطلع هذا القرن قد جعل الكثير منهم ينظر الى التراث على أنه قد بليت جلدته وضاعت جدته وأسرف على أهل زمانه فينبغى ألا يأسرنا بقديمه ويضع لنا مناهج تعليمنا وتعليمه ، ولا نذهب بعيدا ونأخذ بعض الأمثلة التى يعرضها صاحبها بطريقة « درامية » ان صح التعبير ، ونحن هنا لا نظلمه ولا نسلمه وانما نضع النقاط فوق الحروف ان صح التعبير

ونشير الى ما كتبه ، وكيف أن للاعـراب قصـة استمدت خيوطها من ظواهر لغوية متنـاثرة بين قبـائل الجزيرة العربية ، ثم حيكت ، وتم نسجها ، حياكة محكمة فى أواخر القرن الاول الهجرى أو أوائل الثانى على يد قوم من صناع الكلام نشأوا معظم حياتهم فى البيئة العراقية ·

فى الفصل الثـالث من كتابه أسرار اللغة قال الدكتـور ابراهيم انيس تحت عنوان ·· قصة الاعراب : « ما أروعها قصة ! لقد استمدت خيوطها من ظواهر لغوية متنـاثرة بين قبائل الجزيرة العربية ، ثم حيكت وتم نسجها حيـاكة محكمة فى أواخر القرن الأول الهجرى أو أوائل الثانى ، على يد قوم من صناع الكـلام نشأوا معظم حيـاتهم فى البيئة العراقية ؛ ثم لم يكد ينتهى القرن الثانى الهجرى حتى أصبح الاعراب حصنا منيعا امتنع حتى على الكتـاب والخطبـاء والشعراء من فصحاء العربية وشق اقتحـامه الا على قوم سموا فيما بعد بالنحاة · » (٢)

ويؤكد ابراهيم أنيس أن قواعد الاعراب أصبحت حقيقة ملموسة منذ ألف سيبويه كتـابه الذى جمعت فيه أصـول الاعراب ، ونظمه فى صورة مفصلة كل التفصيل دقيقة كل الدقة ، ولاتعـرف لغة من لغـات البشرية مثـل هذه الدقة والاطراد فى ظاهرة من ظواهرها · (٣)

ويرى أن الاعراب ليس فى حقيقته الا ناحية متواضعة من نواحى اللغة ، ومع هذا فقد ملك على الناس شعورهم ، وعدوه مظهر ثقافتهم ومهارتهم الكلامية ·

ويقول ان النحاة أصبحوا رقباء على كل انتاج أدبى ، يتسقطون فيه الهفوات حين يبدل الأديب فيه حركة مكـان

---

(٢) من أسرار اللغة ص ١٩٨ الانجلو ط السادسة ·

(٣) نفسه ١٩٨ ·

حركة ، ثم لا يكادون يعبأون بحسن نسج الكـلام ، أو بمـا اشتمل عليه من معان سامية وصور رائعة ·

ويضيف انه لم يقتصر على أولئك الذين أسسوا قواعد الاعراب على السماع والجمع واسـتنباط الأصـول ، بل قاسوا مالم يسمعوا على ما سمعوا ،وأسرفوا فى قياسهم ، وابتكروا فى اللغة أصـولا وقواعد رغبة منهم فى اطـراد الاعراب وانطباقه على كل أسلوب أو انطبـاق كل أسلوب عليه ·

طه حسين ونقد المعلمين :

لم يضق أستاذنا الدكتور طه حسين بشىء قدر ضيقه بدرس النحو ؛ لا لأنه يكره النحو العربى ، بل عكس ذلك، كان من المحبين له بوصفه فرعا من فروع الثقافة العربية ، وتعمق دراسته وافاد منه ايما افادة ·

يقول طه حسين : « أؤكد لكم أن النحو هو أحب علـوم اللغة العـربية الى ، وأؤكد لكم أننى أجد لذة لا تعدلهـا لذة حين أجلس الى الصـديق ابراهيـم مصطفى ونتذاكر بابا من أبواب النحو ، ونحاول اعراب آية من آيات القرآن على قواعد النحويين أو اعراب بيت من أبيـات الشـعر على قواعد النحويين · » (٤)

ويشير الدكتـور طه حسـين الى هذا التيـار الذى يستهدف الغاء الاعراب والغـاء قواعد النحو ، وهو ليس من هؤلاء الذين يطلبون الالغاء أو يطـالبون به وانمـا هو يريد تيسير النحو وتيسير الكتابة لتشيع اللغـة وتصبح لغة الشعوب وتصبح لغة حية ·

---

(٤) فى محاضرة له فى دمشق من مطبوعـات الادارة الثقـافية بجامعة الدول العربية ، المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية · دمشق ١٩٥٦ ·

يقول الدكتور طه حسين : « ان هنـــاك كتـــابا كبـارا يقرأون فى الشرق العربى كله ،ويطالب بعضهم الآن بالغاء الاعـراب والغـــاء قواعد النحــو ··· أنا أطالب بتيسير قواعد النحو وتيسير الكتابة العربية لتشيع اللغة العربية، وتصبح لغة الشعوب حقا ولغة حية حقــا ، ولكن من الناس من كتبوا فى هذه الأيام القـريبة يطلبون الغــــاء قـواعد الاعراب وتسكين أواخر الكلا مـلا لشىء الا لأنهم لم يتعلموا اللغة العــربية حين كانوا تلاميذ فى المدارس ، لا لشىء الا لأن النحو القديم والكتابةالموروثة والأساتذة الذين يعلمون بالنحو القديم والكتابة الموروثة عجزوا عن أن يحببوا هذه اللغة الى الكاتب الكبير وبغضوا اليه العربية الفصحى ، وغرسوا فى نفسه هذا البغض وأصبح الآن لا يكره شـيئا كما يكره التكلم بهذه اللغة ، ولا يتحرج أن يطـالب بالغــاء قواعد الاعراب وتسكين آخر الكلمات ،وجعل اللغة العربية الفصحى كأى لهجة من اللهجات العامة » ·

ويطرح طه حسين هذا السؤال : هل نعلم التلاميذ النحو بطريقة القدماء ؟ ·

يقول : « عندما تريدون أن تعلمــوا هؤلاء الأطفــال فى المدرسة الابتدائية أو هؤلاء الشباب فى المدارس الثانوية ، عندما تريدون أن تعلموهم النحو ، تعلمونهم النحو كما كان المبرد وأستاذه المازنى وتـلاميذهما المختلفون يعلمــون فى مساجد البصرة ؛ وكما كان الكســائى والفـراء يعلمان فى مساجد الكوفة ، أو فى مســاجد بغداد ، والفــرق بعيد بين المدرسة الابتدائية التى ننشئهـا فى أعمــاق القــرى وبين مسجد البصرة ، أو مسجد الكوفة أو مسجد بغداد ، والفرق هائل جدا بين القرن العشرين ، وبين القــرن الثــامن أو التاسع حين كان يعيش هؤلاء العلماء · » (٥)

(٥) نفسه ·

ويذهب طه حسين الى أن سبب الاختلافـأن القوم كانوا مختلفين عنا من ناحية بالبداوة العربية الأولى ومن ناحية أخـرى بالفلسفة اليــونانية الطــارئة ، ومن ناحية ثالثة بالحضــارة الفارسية المادية التى أحاطت بهم وشـــملتهم شمولا

تعلم العربية وتعلم الأجنبية :

يقول الدكتور طه حسين : « انظـروا الى تــلاميذنا فى المدارس الثانوية · اننا نعلمهم اللغة العربية ، ونعلمهم لغة أجنبية أو لغتين أجنبيتين ·· فى أى اللغتين يتثقف هؤلاء التلاميذ ، وفى أى اللغتين يسرع هؤلاء التلاميذ الى النطق والفهم والحديث ، أتظنون أنهم يتثقفون باللغة العربية ·· أتظنــون انهم يسىعون الى التحدث بالعــــربية الفصحى ، ويسرعون الى قراءتها أو فهمها أم الواقع شىء آخر ·· أما أنا فقد جربت كثيرا والذى أعرفه من التجــربة أن تــلاميذنا يتعلمــون اللغة الانجليزية أو اللغة الفرنسـية أسرع ممـا يتعلمون اللغة العربية ، لولا أن عواطفهم تفـرض عليهـم شيئا من التحفظ وتفرض عليهم شيئا من الجهد · » (٦)

ويرد أستاذنا الدكتور طه على هؤلاء المطالبين بالغاء قواعد الاعراب وتسكين أواخر الكلام ، ويعزو ذلك الى أنهم لم يتعلموا اللغة العــربية حين كانوا تلاميذ فى المدارس ، لا لشىء الا لأن النحو القديم والكتابة الموروثة والأســاتذة الذين يعلمــون بالنحــو القــديم والــكتابة المــوروثة كل أولئك عجزوا عن أن يحببوا هذه اللغة الى الكاتب الكبير وبغضوا اليه العــربية الفصحى ، وغرســوا فى نفسه هذا البغض ، وأصبح الآن لايكره شـيئا كمــا يكره التكلم بهذه اللغة ، ولا يتحرج أن يطالب بالغاء قواعد الاعراب وتسكين

(٦) نفسه ·

آخر الكلمات ، وجعل اللغة العربية الفصحى كأى لهجة من اللهجات العامية ٠ (٧)

ويشير طه حسين الى الباعث القومى فيقول : « أنتم كذلك بين اثنتين اما أن تريدوا وحدة الشعوب العربية حقا ، وتكونوا مؤمنين بهذه الوحدة حراسا عليها ، مستعدين للجهاد فى سبيلها بالحياة والنفوس ، والأموال والمنافع مهما تكن ؛ واذن فلابد من أن تجعلوا لغتكم العربية التى تكون وحدتكم لغة الشعوب لا لغة الخاصة ٠٠ (٨)

وعن تأثير اللهجات المحلية يقول : « اما أن يكون حديثكم عن هذه الوحدة كلاما لا أكثر ، وأعوذ بالله وأعيذكم من ذلك ، واذن فدعوا اللغة العربية تموت ودعوا اللغات العامية تصبح لغة الكتابة وانظروا بعد ذلك اذا أراد السورى أن يقرأ الكاتب مصرى كيف يضطر أن يترجمه الى لهجته السورية ويضطر العراقى اذا أراد أن يقرأ لسورى أن يترجمه للهجته العراقية ٠ » (٩)

محمد كامل حسين والنحو المعقول :

قدم الدكتور محمد كامل حسين عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة بحثا الى المجمع ونشرت مجلة المجمع البحث فى الجزء السابع والعشرين « لكى تتيح لقرائها فرصة النظر فيه والتعليق عليه ٠ » (١٠)

وبدأ البحث بمقدمة يتمنى فيها الباحث أن على بن أبى طالب قال لأبى الأسود ، انح هذا النحو ، ارفع الاسم

(٧) نفسه ٠

(٨) نفسه ٠

(٩) نفسه ٠

(١٠) انظر البحث فى العدد ٢٧ (ذو الحجة ١٣٩٠ هـ فبراير ١٩٧١ وقد صدر البحث فى كتيب ٠)

بالخبرية وانصبه بالتكملة ، وجره بالحروف أو الاضافة ، أما الفعل فارفعه حيث لايكون منصوبا بالغائية أو مجزوما بنقص أو شرط ؛ واجعل بناء الكلمات التى لا تعرفها على نسق ماتعرفه من مأثور القول ٠٠٠ اذن لكانت الفصحى اليوم سهلة على جمهور المتعلمين والمثقفين ٠٠ وليت سيبويه قال فى كتابه : « انى رجل علم لا يعنينى الا فهم ما يعرض لى ، والخليل رجل علم كذلك يرد الأمور كلها الى الحساب ، وتصادف أننا جميعا اتخذنا اللغة ميدانا نظهر فيه نزعتنا العلمية ، وليس الغرض من كتابى هذا أن أرشد الناس الى الكلام الصحيح ، بل غايتى منه فهم نظام اللغة ٠٠٠ وليت ابن جنى قال : انما أنا فيلسوف قبل أن أكون لغويا وغرضى من كتبى هذه أن أجد تعليلا لقواعد اللغة كما كان يفعل فلاسفة الاغريق بالعلوم كلها ٠ والتعليل الفلسفى قد يكون بارعا وهو مع هذا خطأ ٠ »

وما قدمه سيبويه وابن جنى فى رأيه يمثل أساليب التفكير عند العرب فى ذلك العهد ٠

وألفية ابن مالك فى رأيه ما هى الا أحاج وألغاز ، وهى لاتدل الا على قدرة ابن مالك الفائقة على نظم ما لايصح نظمه ، ولا فائدة منها الا أن تجعل الطلاسم مقبولة عند بعض الناس ٠٠ ولكانت الألفية مخطوطا واحدا فى مكتبة واحدة فى قطر بعيد لا يبحث فيها الا المنقبون عن الآثار القديمة والحفائر ٠

ويقول كامل حسين : « ليت الناس قالوا للنحاة : ان نحوكم هذا عقبات وعثرات وقيود مثلكم كمثل من يضع قواعد معقدة لركوب الخيل ٠٠ لاتمنع العارف بها أن تدق عنقه عند أول ركضة ٠ ودقة قواعده تجعل المتكلمين بالفصحى دائمى الشك فى صحة كلامهم ، عديمى الثقة بأنفسهم لايقدمون على قول حتى يتذكروا قواعده ولاينطقون

بكلمة حتى يرجعوا الى المعاجم ، وكل ذلك يمنع الفصحى أن تكون طبيعية ٠ » (١١)

ويقيم الدكتور كامل حسين بحثه على الأسس الآتية :
أولا : ليس من المستحيل أن تضع الفصحى قواعد جديدة تكفل لنا صحة الكلام من غير طريق النحو القديم ٠

ثانيا : القواعد الجديدة ليست تيسيرا للنحو القديم ولا ايضاحا له وليست شرحا لغوامضه وانما هى بديل منه اذ هى تقوم على أسس تختلف اختلافا جوهريا عن الاسس التى أقام عليها النحاة علمهم منذ اثنى عشر قرنا ٠

ثالثا : فى رأيه أن السليقة اللغوية كما فهمها الأقدمون خرافة ، وأن اللغة احتذاء وقياس وذوق ، وكل كلام له سند من أحد هذه الأمور الثلاثة يجب فى رأيه أن يعد صحيحا وان خالف القواعد الوضعية ٠

رابعا : الأصل فى القواعد الطبيعية الخصبة أن تكون شاملة مرنة ، ويجب أن تكون شاملة مرنة ويجب أن تكون ذات مغزى ، وأن تدل على فروق من المعانى يريدها المتكلم ٠

خامسا : ليست اللغة العربية بدعا بين اللغات ومن المستحيل عقلا أن يكون فصحاء العرب ألموا تلقائيا بهذه القواعد مهما تكن سليقتهم مبرأة من كل عيب ٠

سادسا : قواعد اللغة العربية بسيطة جدا يمكن الالمام بها بعد درس غير مرهق ولا يحتاج المتعلم بعد ذلك الا الى المرانة على تطبيق هذه القواعد الشاملة فيستقيم بذلك لسانه دون عناء كبير ٠

(١١) نفسه ٠

ويعزوالباحث أزمة العربية على أسلوب التعليم وأكثر من ذلك يرجع الى طبيعة القواعد التى لم يعد يستسيغها المحدثون وجمهور المتعلمين لا يرون أن يقضى الانسان حياته عاكفا على شىء لا يرى فيه فائدة له فى ميادين الفكر والتعبير ٠

وبعد هذا النقد للنحو وللنحويين نجد الباحث يقيم مقترحاته عل ىقواعد النحويين ، فالاسم يرفع الاسم وكذلك الخبر المتعلق به ويجر الاسم المضاف اليه والمسبوق بحرف الجر ، وماذا يكون الأمر فى تابع المجرور ، صفة أو عطف بيان أو عطف أو توكيد ألا يجر كذلك كما قال النحاة الأقدمون ، والفعل يرفع اذا أريد به تقرير حدث بعينه وينصب على الغائبة كأن يكون غرضا أو نتيجة لحدث سابق أن يكون نفيا لحدث فى المستقبل ٠ ويجزم اذا أصاب الحدث نقص كأن يكون نفيا فى الماضى أو فعل أمر ٠

النحو الوظيفى والنحو التخصصى :

قسم أحد الباحثين المعاصرين النهو الى : النحو الوظيفى والنحو التخصصى (١٢) ، ويعنى بالنحو الوظيفى « مجموعة القواعد التى تؤدى الوظيفة الأساسية للنحو وهى ضبط الكلمات ، ونظام تأليف الجمل ؛ ليسلم اللسان من الخطأ فى النطق ، ويسلم القلم من الخطأ فى الكتابة ، أما النحو التخصصى فهو ما يتجاوز ذلك من المسائل المتشعبة والبحوث الدقيقة التى حفلت بها الكتب الواسعة » (١٣)

ويرى صاحب النحو الوظيفى أن من المسلم به أن القواعد النحوية التىتنهض بأداء الوظيفة الأساسية للنحو

(١٢) النحو الوظيفى ٠ عبد العليم ابراهيم دار المعارف ط الرابعة ٠ المقدمة ٠
(١٣) نفسه ٠

محدودة محكمة ، وليس فيها تشابك يربك الدارس ، ولا تعقيد ينال من عزيمته ، وهى قواعد لاتثقل الذهن ولا ترهق الحافظة ، ولعل مما يزيدها يسرا أن فيها رياضة ذهنية ، وفيها كذلك اثارة للملاحظة ، وايقاظا للملكات المتصلة بالتعليل والموازنة والاستنباط ، يضاف الى هذا انها تعالج الكلام العربى ، وتعالج اللغة القومية التى هى أداتنا فى مختلف شئوننا الحيوية ويؤصلها رويدا رويدا فى نفس الدارس حتى تئول فى نهاية الأمر الى نوع من المهارة البشرية التى يكسبها الانسان فيما يكسبه بالتجارب والممارسة العملية . » (١٤)

ويرى أن من أهم العوامل التى خلقت ما أسماه أزمة النحو العربى ظاهرة نقص عدد حصص النحو فى الخطط والمناهج والكتب فى المراحل التعليمية المختلفة ، وأن مناهج اللغة العربية وامتحاناتها قد قبضت يدها عن العناية بالنحو الى حد ما ، وبسطتها سخية الى فروع أخرى رأت السياسة التعليمية أنها تفوق النحو أهمية ومكانة واقترن ذلك بصيحات متتالية بعثتها فى اطراد والحاح حناجر الذين يضنون بالولاء للنحو العربى ، اما جهلا به واما امتهانا له . (١٥)

ويقول الدكتور مصطفى مندور ان ما نلمسه من عجز فى اللغة يكاد ينتسب فى أغلبه الى السمات النحوية التى صنعها منطق النحو والى القيود التى فرضها العقل البشرى المحب فى كثير من حالاته للوقوع فى أسر السابقين يخشى أن يستحدث جديدا ؛ مخافة أن يكون حجابا بين التراث والوارثين ومخافة أن تفهم روائع الفكر والأدب ثم مخافة أن تضيع منه معالم رحلة الحياة فيما مضى ، كما تضيع منه

(١٤) نفسه .

(١٥) نفسه .

رحلة الحياة فيما بقى ، ولعل ذلك هو تفسير السعة التى يبقى عليها باب دخول المصطلحات العلمية والرياضية وما اليها من معارف بحتة لا تتدرج تحت الفنون والآداب اندراجا مباشرا .

ويقول اذا قلنا « الحق ظاهر » فاننا نسند فكرة الظهور الى مسند اليه هو الحق ، وحين نقول : « ظهر الحق » فاننا نسند الظهور الى الحق والمسند اليه فى الحالتين هو الاسم الأول والمبتدا فى الحالة الأولى وهو الاسم ـ الفاعل ـ فى الجملة الفعلية الثانية والعملية العقلية متماثلة فى العبارتين ، ولكن صنيع النحاة هو صنيع عقلى منطقى مولع بالتقسيم الشكلى أكثر من تعلقه بالعلاقة المعنوية أو لتكن العلاقة العقلية ، ولا جديد حين نقول ان كل عملية لغوية هى فى الأصل مصنوعة فى معامل العقل المختزن للرموز وللدلالات وللعلاقات كذلك ؛ واذا كان فريق من المناطقة يذهبون الى أن استكشاف المعانى النحوية فى العبارة يعتبر البداية التى ينخرط فيها العقل لاستكشاف الفكرة ، فلاشك أن مثل هذا الدرب من التصور لا وجود له الا بعد أن تمر رحلة التأمل اللغوى فى شوط طويل أى بعد أن يتفرغ العقل للتفتيش عن ما هية الجمل وما هية الألفاظ وما هية العلاقا تبينها ، أما الأصل فيها فهو الاستخدام الفطرى ، وقد يكون حقا أن الكثير من التوجيه النحوى هو سليل تفكير عملى يبحث عن أسرار الظواهر التى تحيط بالانسان ، وقد ساهم اليونانيون بمنطقهم فى ارساء بذور قديمة فيما تسميه بمنطقة اللغة وان كان الكثير من ذلك قد نحا وجهه تقسيم الكلام الى أقسام .. (١٧)

(١٦) اللغة بين العقل والمغامرة ص ١٤ منشأة المعارف الاسكندرية .

(١٧) نفسه ص ١٧ .

الرأى وما يعارضه :

يقول شوقى امين : « هل يعلم أصحاب الدعوة الى مجانبة الاعراب انهم بدعواهم تلك لا يشقون افقا جديدا من البحث ولا يثيرون مسألة عزبت عن الأقدمين فيما خلا من السنين ؟ وأنهم فى هذه الدعوة هم الرجعيون الدين يبتغون أن يستأنفوا النظر فيما عفت عليه الحقب ، وطوته بطون الكتب ؟ وهل يعلم المحافظون الذين يثورون فى وجه الدعوة الى التنكب عن الاعراب أن اسلافهم منذ ازدهار العربية قبل ألف من السنين او تزيد ، تناولوا أمر الاعراب فى مناح شتى من القواعد والاصول وما اليها من تفريعات وذيول ، على أساس من جواز ترك الاعراب وتسكين أواخر الكلام فى الوصل ، فلم يقم فى وجوههم من يصدهم عن النظر ، ويوصد دونهم باب الاجتهاد ولكنهم فسحوا صدورهم للدراسة والتعليل والتحليل ، وكان بينهم نزاع فى الرأى على طلاقة من الفكر ، فتركوا لنا حصادا من البحث فيه للعقل غذاء وامتاع . » (١٨)

ويعزو الأستاذ شوقى أمين كثرة القواعد النحوية وتفريعاتها الى أن القوم استقوا مادة النحو من الشعر العربى ، يقول : « أليست تدل على أن العلة فى كثرة فروع القواعد راجعة الى طبيعة الشعر العربى فى تقيده بالوزن والقافية ، فهو لذلك يقسر الشاعر العربى على أن يتصرف فى أنماط الكلام وأساليب التعبير ليسلس له عنان الوزن ويسلم له سماط القوافى . » (١٩)

ويعود الى الأصل الذى أتعب النحاة فى ظنه فيقول : « ان نحن رجعنا الى الشعر ألفيناه يحفل بكل ما أتعب النحاة أنفسهم فيه ، وجهدوا جهدهم لضبطه وما ذلك الا

(١٨) انظر مجلة المجمع العدد ٣٨ مايو ١٩٧٦ .
(١٩) انظر العدد ٣٥ من مجلة المجمع مايو ١٩٧٥ .

لان أولئك النحاة حين انبروا لضبط قواعد الكلام ، وتسجيل ظواهر التراكيب والأساليب ، جعلوا نصب اعينهم فى معظم أمرهم ماتيسر لهم جمعه من القصائد والمقطعات والأبيات ، فكان الشعر مادتهم الغزيرة ، ومنهلهم المورود ، اليه رجعوا أكثر ما رجعوا ، وعليه عولوا أكبر ما عولوا ، ومنه استخرجوا أوفر ما استخرجوا من القواعد والأحكام . » (٢٠)

وكما يقول ان الوزن والقافية يتحكمان فى الشعر العربى كبير تحكم وانما يريدان الشاعر على أن يميل بأساليب بيانه تقديما وتأخيرا ، واظهارا واضمارا ، وحذفا واتصالا وتطويعا للوزن ، وتأليفا للقافية ، فالشعر مغاير للنثر فى الصوغ مخالف له فى التركيب ، ولا يغرب هذا عن النظرة العابرة فى أية قطعة منثورة حين يوزن بها شىء من القول النظيم . (٢١)

واذا كانت للشعر لغته الخاصة التى ذكرها سيبويه فى كتابه ، وأتاحت له اللغة من قواعدها فسحة تقوم على الأصول وليست فسحة الانطلاق دون قواعد ، فان الشعر وحده لم يكن هو السبب فى تنوع القواعد ، وفى ظنى أن القرآن الكريم بما اشتمل عليه من تنوع فى الأساليب وانبهر به النحاة كان هو المدد الرئيسى لتفريعات القواعد ولم ينفرد الشعر وحده بالتقديم والتأخير والحذف والاختصار الى آخر ماذكره شوقى أمين ، وانما نرى فى القرآن هذا التقديم والتأخير والأمثلة كثيرة يزخر بها الكتاب الكريم فى مثل قوله تعالى : « واذ ابتلى ابراهيم ربه » و « لن ينال الله لحومها » و « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب . » و « انما يخشى الله من

(٢٠) نفسه .
(٢١) نفسه .

عباده العلماء . » وفى الحذف والاختصار الامثلة كثيرة جدا فى مثل قوله تعالى : « واختار موسى قومه سبعين رجلا . . » و « اذا السماء انشقت » و «اذا الشمس كورت» والأمثلة متنوعة .

طبيعة العربية المتنوعة التعبير عن المعنى الواحد بصور شتى والشعر صورة من صور هذا التعبير ولكننا لانتفق مع الاستاذ شوقى أمين فى أن الشعر وحده هو الذى فرع القاعدة ، الشعر وكل أساليب البيان والتبيين عند العرب .من حكمة سائرة لمثل يتردد عبر الأيام ونثر وشعر، تعدد صور التعبير فى الجملة العربية خاصة أن العربى مغرم بالأساليب ، حتى فى القاعدة النحوية شاعت له قدراته أن يضع بعض الأساليب النحوية فى مثل أساليب المدح والذم والاختصاص والاغراء والتحذير والعطف والاستثناء والنداء الى آخر الأساليب التى صاغ فيها النحاة القاعدة النحوية فى صور التعبير المختلفة .

الشيخ أمين الخولى :

يضع شيخنا أمين الخولى رحمه الله قواعد اجمالية فيما سماه تهذيب النحو فيقرر :

١ ـ ملاحظة التيسير والرفق ، ويضيف : « ولا نقول ان البلوى بالنحو أعم من الفقه وأشمل ، بل حسبنا أن يساوى النحو الفقه فى ذلك ، وان كان من الناس غير قليل يستطيعون الاستغناء عن الرجوع الى هذه المحاكم الفقهية ، وليس فيهم واحد فرد لا يعرض للمشكلات الكلامية ،وبخاصة حينما نعطى الناس جميعا حقهم الفطرى فى التعليم ، ومجاوزة الأمية ، واستعمال لغتهم فى الحياة قراءة وكتابة وكلاما .

٢ ـ جمع كل مايوجد من المذاهب النحوية حيثما وجد والتوسع فى فهمه دون وقوف عند ظاهرة .

٣ ـ تخير مايوافق حاجة الأمةويساير رقيها الاجتماعى على ضوء التجارب العملية والخبرة التعليمية والشكاوى الحقة من المصاعب اللغوية .

ويقول أمين الخولى انه ليس من الابتداع فى شىء مطلقا أن يأخذ بهذه الاصول فى اللغة والنحو أشد المحافظين بل المتعنتين ، بعد أن سمع أن أصولها محمولة حملا على أصول الشريعة ، وأن هذا ما أقرته أصول الشريعة (٢٢)

عباس حسن :

يتحدث عباس حسن عما أسماه « فضل النحو داؤه ودواؤه » فيقول :

« ان منزلة النحو من العلوم اللسانية منزلة الدستور من القوانين الحديثة ، هو أصلها الذى تستمد عونه ، وتستلهم روحه ، وترجع اليه فى جليل مسائلها وفروع تشريعاتها ، فلن تجد علما من تلك العلوم يستقل بنفسه عن النحو أو يستغنى عن معونته أو يسترشد بغير نوره وهداه، وهذه العلوم النقلية ـ على عظم شأنها وعميق أثرها ـ لا سبيل الى استخلاص حقائقها أو النفاذ الى أسرارها بغير هذا العلم الخطير ، فهل ندرك كلام الله تعالى ونفهم دقائق التفسير وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم

(٢٢) مناهج تجديد فى النحو والبلاغة والتفسير والأدب ص ٢٦ ط القاهرة .

(٢٣) انظر رد المرحوم أمين الخولى على اللجنة التى شكلت لتفسير اللغة والنحو والتى كانت مكونة من المرحومين الدكتور طه حسين واحمد أمين وعلى الجارم (صاحب النحو الواضح ومحمد ابو بكر ابراهيم وابراهيم مصطفى (صاحب احياء النحو) وعبد المجيد الشافعى .

وأصوله والعقائد وأدلة الأحكام وما يتبع ذلك من مسائل فقهية وبحوث شرعية مختلفة الا بالهام النحو وارشادة .

ويرى أن النحو وسيلة المستعرب وذخيرة اللغوى وعماد البلاغى وأداة المشرع والمجتهد ، والمدخل الى العلوم العربية والاسلامية جميعا ، فليس عجيبا أن يفرع له العباقرة من أسلافنا ، يجمعون أصولة ويثبتون قواعده ويرفعون بنيانه شامخا ركينا فى اخلاص نادر وايمان عميق وصبر لا ينفد .

ويقول صاحب النحو الوافى : « والحق أن النحو منذ نشأته داخلته شوائب ، نمت على مر الليالى وتغلغلت برعاية الصروف ، وغفلة الحراس ، فشوهت جماله ، وأضعفت شأنه وانتهت به الى ما نرى .

فلم يبق بد أن تمتد اليه الأيدى البارة القوية ، متمالئة فى تخليصه مما شابه ، متعاونة على انقاذه مما أصابه . وأن تبادر اليه النفوس الوفية للغتها وتراثها ، المعتزة بحاضرها وماضيها ، فتبذل فى سبيل انهاضه وحياطته ، واعلاء شأنه مالا غاية بعده لمستزيد (١) . »

ويضيف عباس حسن : « ومن كريم الاستجابة أن رأينا فى عصرنا هذا ـ طوائف من تلك النفوس البارة الوفية سارعت الى النجدة ، كل بما استطاع ، وبما هو ميسر له . فمنهم من زلل للناشئة لغته ، أو اختصر قاعدته ، أو أوضح طريقة تدريسه ، أو أراحهم من زائف العلل (٢٤) . وضار الخلاف . » (٢٥) .

انظر مقدمة النحو الوافى . دار المعارف ١٩٧٥ .

(٢٤) واضح هنا تأثير ابن مضاء القرطبى على الرغم من أن العلة النحوية تقرب القاعدة ويربطها بالمعقول الذى يشرح اسباب المنقول ، والعلة النحوية جهد وفكر .

(٢٥) لا يعوق القاعدة وانما يثبتها ويقنع بها .

المجامع اللغوية :

تبذل المجامع اللغوية جهودا طيبة فى سبيل الحفاظ على اللغة العربية والعناية بقواعدها ، وفى مجمع اللغة العربية فى مصر تحقق هذه الجهود بعض ثمارها من خلال الابحاث التى تقوم بها المجلة المتخصصة التى يصدرها المجمع ، وهى مجلة اللغة العربية بالاضافة الى مايقوم به المجمع من جهود ثقافية وتبادل الآراء حول متابعة مسار اللغة الفصحى ، على الرغم من كون هذه الجهود فى ظل امكانات مادية متواضعة ، وقدرات الاتصال بالمجامع اللغوية الأخرى محدودة ، ومما قدمه مجمع اللغة العربية بمصر لتيسير النحو بعض الاقتراحات التى قدمت للمؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية فى دمشق فى منتصف الخمسينات .

وتتلخص هذه المقترحات فيما يأتى

أولا : وجوب الاستغناء عن الاعراب التقديرى والاعراب المحلى .

ثانيا : لا يؤمن المجمع بما يسمى بالعلامات الفرعية فالعلامات الأصلية للاعراب والعلامات الفرعية ، كل علامة فى موضعها تعد أصلا .

ثالثا : توحيد ألقاب الاعراب وألقاب البناء .

رابعا : الجملة العربية تنقسم الى موضوع ومحمول ولاداعى (٢٦) للمبتدأ والخبر والمسند اليه والمسند والفعل والفاعل .

خامسا : الغاء الضمير المستتر جوازا أو وجوبا .

---

(٢٦) انظر هذه المقترحات فيما أصدرته الادارة الثقافية التابعة لجامعة الدول العربية بعنوان المؤتمر الاول للمجامع اللغوية العلمية دمشق ١٩٥٦ .

سادسا : المتعلق العام لايقدر .

سابعا : كل ما يذكر فى الجملة غير الموضوع والمحمول هو التكملة واستهدف المجمع فى مصر منذ نشأته :

١ ـ توسيع أقيسة اللغة العربية وتبسيط قواعدها وتيسير كتابتها واملائها .

٢ ـ وضع المعاجم اللغوية .

٣ ـ العناية بالمصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة .

٤ ـ تحقيق المخطوطات العربية .

٥ ـ تشجيع الانتاج الأدبى .

وفى مجال علم التصريف رأت المجامع اللغوية أن أكثر مسائله من بحوث فقه اللغة التى لايحتاجها البادىء ، بل لايصل اليها فهمه كالاعلال والابدال والقلب وتنقل الكلمة فى موازين مختلفة حتى تصل الى هيئتها فى النطق .

ولقد عقد المجمع اللغوى فى مصر أولى جلساته فى آخر سنة ١٩٣٤م وحدد أغراضه وهى :

أولا : أن يحافظ على سلامة اللغة العربية وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون فى تقدمها ، وملائمة على العموم لحاجات الحياة فى العصر الحاضر .

ثانيا : أن يقوم بوضع معجم تاريخى للغة العربية .

ثالثا : أن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة وأن يبحث كل ما له شأن فى تقدم اللغة .

وتصنفت جهود المجمع الى أصناف هى :

١ ـ تطويع مادة اللغة العربية لمسايرة مستحدثات العلوم والفنون .

٢ ـ درس المصطلحات العلمية والفنية درسا دقيقا مستأنيا .

٣ ـ تيسير دراسة النحو والصرف والاملاء .

٤ ـ تشجيع الانتاج الأدبى .

٥ ـ بحث النصوص القديمة .

٦ ـ دراسة اللهجات العربية .

٧ ـ تيسير الكتابة ـ الخط .

أما بالنسبة لقواعد الصرف والنحو والاملاء فقد رأى المجمع أن يلتزم بمبدأ انتهى اليه فى سنة ١٩٤٥ ونصه : « ان كل رأى يؤدى الى تغيير فى جوهر اللغة وأوضاعها العامة لا ينظر اليه ، وأن المهمة هى تيسير القواعد » (٢٧)

محاولة تجديد النحو *

ضمن الجهود التى بذلت فى سبيل أظهار النحو العربى بمظهر اليسر تلك المحاولة التى قام بها أستاذنا الجليل الدكتور شوقى ضيف ، وفى ظنى أن هذه المحاولة بدأت منذ فترة قبل صدور كتاب تجديد النحو ، بدأت هذه المحاولة عند تحقيق كتاب الرد على النحاة لابن مضاء القرطبى الذى حققه أستاذنا وصدر فى أوائل الأربعينات من هذا القرن ، وقدم الدكتور شوقى للكتاب بمقدمة وضح فيها العلاقة بين نحاة المشرق ونحاة المغرب وأبرز علاقة الثقافة العربية ومجالات المنافسة بين المشارقة والمغاربة .

يقول أستاذنا : « كان نشرى لكتاب الرد على النحاة لابن مضاء القرطبى سنة ١٩٤٧ باعثا لى ـ منذ تحقيقه ـ على التفكير فى تجديد النحو بعرضه عرضا حديثا على أسس قويمه تصفية وتروقه وتجعله دانى القطوف للناشئة » .

---

(٢٧) انظر قرارات المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية دمشق ١٩٤٦ .

والأسس التى أقام عليها الدكتور شوقى تجديده تجرى على النحو الآتى :

١ ـ اعادة تنسيق أبواب النحو بحيث يستغنى عن طائفة منها برد أمثلتها الى الأبواب الباقية ، حتى لا يتشتت فكر دارس النحو فى كثرة من الأبواب توهن قواه العقلية ·

٢ ـ الغاء الاعراب التقديرى فى المفردات مقصورة ومنقوصة ومضافة الى ياء المتكلم ومبنية ورأيت أن يقال فيها جميعا محل الكلمة الرفع أو النصب أو الجر · كما رأيت الغاء الاعراب المحلى فى الجمل بحيث لا يقال مثلا : الجملة خبر محلها الرفع بل يكتفى بالقول أن الجملة خبر ومثلها جملة النعت وجملة الحال وجملة الصلة وجملة جواب الشرط ·

٣ ـ أن لاتعرب كلمة لا يفيد أعرابها أى فائدة فى صحة نطقها ، ويتضح ذلك فى اعراب النحاة كلمة أن المخففة فى رأيهم من أن الثقيلة وأختها كأن المخففة ، واعراب لا سيما وبعض أدوات الاستثناء ، وكم الاستفهامية والخبرية ، وأدوات الشرط الاسمية ·

وتقوم محاولة تجديد النحو التى قام بها أستاذنا الدكتور شوقى ضيف على اعادة تنسيق أبواب النحو ، وقد أدخل فى النحو مبحثا فى نطق الكلمة ودقة التلفظ بحروفها اقتبسه من علم التجويد ·

وقد حذف فى هذه المحاولة بعض أبواب النحو منها باب كان وأخواتها ، ويرى أن هذا الباب خلل سهلته مدرسة الكوفة التى ذهبت أن الفعل لازم والاسم المرفوع بعدها فاعل والاسم المنصوب حال (٢٨) ·

(٢٨) تجديد النحو ص ١٢ دار المعارف · وانظر الاعتراض على هذا الرأى ص ١٣ ·

ومما حذفته محالة التجديد الحروف العاملة عمل ليس وكذلك باب كاد وأخواتها ويرى الدكتور شوقى أن اعراب مثل كاد زيد يقوم جملة المضارع خبر أن هذا الاعراب لايستقيم بتاتا حين يقترن المضارع بأن المصدرية كقولنا : كاد زيد أن يقوم ، وفى ظنى أن البصريين استبعدوا دخول أن على خبر كاد ،وفى القرآن الكريم : « يكاد البرق يخطف أبصارهم · » وليست فى القرآن الكريم آية فيها خبر كاد يسبق بأن ·· ومما حذفته محاولة تجديد النحو باب ظن وأخواتها » علم ـ رأى ـ درى ـ ألفى ـ حسب ـ ووجد ـ زعم ـ عد ـ خال · وهى تفيد اليقين أو الشك ومنها مايفيد التحويل مثل : جعل ورد واتخذ وصير ، حضر ، بنى فصل، تيقن ، تبين ، شعر ، أحاب ، تمنى ، المنقد ، توهم ، سمع ، صارف ·

ومما حذفة دراسة الدكتور شوقى باب أعلم وارى وأنبأ ونبأ ، أخبر ، خبر ·

وأبقىتجديد النحو باب المبتدأ والخبر ، وان وأخواتها، لا النافية للجنس والفاعل ونائبه وحذف بابى التنازع والاشتغال ·

ومعروف أن ابن مضاء القرطبى هدم بابى التنازع والاشتغال ·

وفى المنصوبات أبقى تجديد النحو المفاعيل وهى : المفعول به والمفعول المطلق ، والمفعول فيه والمفعول له والمفعول معه وأبقى الاستثناء والحال ؛ ونسق باب التمييز تنسيقا جديدا ترتب عليه حذف ستة أبواب من النحو ·

وألغت المحاولة تعليلات البصريين لبعض قواعد النحو والغى تجديد النحو

١ ـ تقدير متعلق الظرف والجار والمجرور ·

٢ ـ عمل أن المصدرية فى المضارع مقدرة ٠

٣ ـ العلامات الفرعية فى الاعراب التى سبق أن قرر المجمع المطالبة بالغائها فى المؤتمر الذى عقده فى سنة ١٩٤٥م

وطالبت محاولة التجديد وضع ضوابط وتعريفات دقيقة لبعض أبواب النحو التى لم يتح لها أن تعرف تعريفا سديدا على نحو مايلاحظ فى المفعول المطلق والمفعول معه والحال (٢٩) وكذلك حذف زوائد كثيرة تعقد أبواب النحو وتدخل على تمثلها شيئا من العسر دون حاجة حقيقية لذلك « وكان أول ما حذفته فى مباحث تقسيمات الاسم وأبنية حذف شروط اشتقاق اسم التفضيل وبالمثل صنعت بشروط فعل التعجب حين عرضتها فى باب التمييز لسبب مهم وهو أن أمثلة البابين تكفى فى تمثل صنيعتهما دون حاجة الى ذكر الشروط التى يذكرها النحاة ٠ وبالمثل حذفت ما يذكر النحاة من قواعد فى اسم الآلة لأن مداره على السماع ٠ وتكفى فى تمثله واستيعاب صوره مجموعة من أمثلة ٠ وحذفت من باب التصغير شروط صيغه وقواعده العسر أو شديدة العسر مع أمثلتها التى لا نستعملها اليوم مثل تصغير سنة على سنية أو سنيهة وريح على رويحة وعطاء على عطى ومعاوية على معية أو معيوية ومقتدر على مقيدر ومطمئن على طميئن واثنين على ثنيين» (٣٠) ٠

وفى محاولة استاذنا الدكتور شوقى ضيف تجديد النحو التى يقوم معظمها على حذف بعض مارآه تزيدا ، من هذا مثلا فى باب المرفوعات يقول : « حذفت من باب المبتدأ والخبر أكثر الأحوال التى يتحتم فيها تقديم المبتدأ على الخبر ، والأخرى التى يتحتم فيها تقديم الخبر على المبتدأ لعرض الكتاب لها فى باب التقديم والتأخير وكذلك

(٢٩) انظر ص ٣٠ ٠

(٣٠) ٢٣٤ ٣٥ تجديد النحو ٠

أكثر أحوال حذف المبتدأ وحذف الخبر لعرض الكتاب لها فى باب الذكر والحذف وفى باب ان حذف الكتاب أن المخففة من الثقيلة لأنها أداة ربط لاغير ٠ وألغيت اعمال كأن المخففة من كأن الثقيلة وهى فى ذلك مثل لكن المخففة فانها غير عاملة ٠ وحذف الكتاب اعمال ليت ـ دون أخواتها ـ مع ما الكافة اذ قال النحاة انه يجوز اهمال ليت حينئذ مثل أخواتها ـ واعمالها لمجيئها عاملة فى شاهد ـ ليس فى أيديهم سواه ٠ على أنه فى رواية ثانية لنفس الشاهد كفت ليت عن العمل ٠ وحرى أن نأخذ بالرواية الثانية حتى تطرد قاعدة كف ما لان وأخواتها عن العمل دون استثناء لليت بسبب شاهد واحد روى تارة باعمالها وتارة باهمالها وكفها عن العمل فيه ٠ » (٣١)

وفى ظنى أن محاولة تجديد النحو على الرغم من بواعث الصدق فيها واستهداف التيسير على المعلمين واعتمادها على الأغلب الأعم فى الاستعمال المألوف هى محاولة للتيسير على المتعلمين وفى نفس الوقت سوف تغلق كثيرا من تفكير النحاة الذى يمثل مراحل من الثقافة العربية ، بمعنى أننا لانريد عن طريق التيسير الحذف أو الاختزال لأن ذلك سوف ينعكس على البناء النحوى المتكامل الذى يصور طريقة العربى فى التفكير كما يعكس مناهج النحاة فى تمثل القواعد النحوية ٠

ولقد كانت دعوة ابن مضاء القرطبى مستهدفة الحذف يقول فى مقدمة الرد على النحاة : « قصدى فى هذا الكتاب أن أحذف من النحو مايستغنى النحوى عنه ، وأنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه ، فمن ذلك ادعاؤهم أن النصب والخفض والجزم لايكون الا بعامل لفظى ، وأن الرفع منها يكون بعامل لفظى وبعامل معنوى ٠ وعبروا عن ذلك بعبارات توهم فى قولنا : ضرب زيد عمرا أن الرفع الذى

(٣١) تجديد النحو ٣٥ ، ٣٦ ٠

فى زيد والنصب الذى فى عمرو انما أحدثه ضرب ٠٠ وذلك بين الفساد ٠ » (٣٢)

وبهذا أراد ابن مضاء الغاء نظرية العامل ، على الرغم من أن الجملة العربية وشيجة واحدة مترابطة الكلمات تسلم كل كلمة الأخرى دلالتها وتأثيرها حتى يتكون المعنى الاجمالى العام ، فالغاء التأثير والتأثر الغاء لدلالة الترابط بين كل كلمة وأخرى داخل الجملة ، وفى ظنى أن التوجيه الاعرابى للمعلمين بالاتجاه الى الاعراب الرأسى أى الكلمات الفرادية داخل النص حول الاعراب الى ألغاز ولم يدفع بالاعراب الى الهدف منه وهو الايضاح والابانة عن المعانى بالألفاظ ٠ فاختفى المعنى من فهم المتلقى للنص ، ولو اتجه المعربون الى الأفقية فى النص بمعنى علاقة كل مؤثر بما يتأثر به لارتبطت المعانى فى أذهان الدراسين ٠

ولقد تقدم مجمع اللغة العربية بمصر باقتراحات تيسير النحو العربى للمؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية الذى عقد فى دمشق سنة ١٩٥٦ وتتلخص كما سبق أن أشرنا فى الغاء الاعراب التقديرى والاعراب المحلى فان مثل (الفتى) يعرب بحركات مقدرة على آخره منع من ظهورها التعذر ، ومثل القاضى نقدر عليه حركتا الرفع والجر ويقال منع من ظهورها الثقل كما اتجهت مقترحات المجمع الى الغاء العلامات الأصلية للاعراب والعلامات الفرعية ، ومعروف أن الحروف تنوب عن الحركات وتنوب الحركة عن الحركة فى أبواب معدودة معروفة ويعرب الزيدان مرفوعا بالألف عن الضمة ومسلمات منصوبا بالكسرة نيابة عن الفتحة ورأت لجنة المجمع عدم التمييز والتثانية وجعلت كلا فى موضعه أصلا وقسمت الاسم المعرب الى اسم تظهر فيه الحركات الثلاث واسم تظهر فيه حركتان : ضم وفتح ،

---

(٣٢) الرد على النحاة ص ٨٥ ٠

واسم تظهر فيه حركتا الضم والكسر واسم تظهر فيه حركة واحدة وهى الفتح ٠ واسم تظهر فيه ألف ونون أو ياء ونون وهو المثنى ، اسم تظهر فيه واو ونون أو ياء ونون وهو المجموع بهما ٠

ورأى المجمع الغاء ألقاب الاعراب والبناء ورأت لجنته أن يكون لكل حركة لقب واحد فى الاعراب والبناء ٠

ورأى المجمع تقسيم ركنى الجملة الاسمية الى المحدث عنه والحديث وذلك بدلا من المسند اليه والمسند أو الموضوع والمحمول أو الأساس والبناء ٠

ورأى المجمع الغاء متعلق الظرف وحروف الاضافة وأن المتعلق العام لا يقدر وان المحمول فى مثل زيد عندك أو فى الدار هو الظرف أما النوع الثانى فهو كما قدر النحاة المتعلق هو المحمول والظرف تكملة ٠

ومن الأصول التى رأى المجمع الغاءها الضمير المستتر جوازا أو وجوبا فمثل زيد قام الفعل هو المحمول ولا ضمير فيه وليس بجملة كما يعده النحاة وهو كمثل : قام زيد ومثل : الرجال قاموا الفعل محمول اتصلت به علامة العدد ولا يعتبر جملة ٠ ومثل أقوم وتقوم مما يقدر فيه الضمير مستترا وجوبا ، الفعل محمول والهمزة أو النون اشارة الى الموضوع أغنت عنه وكفى ذلك فى اعرابه ٠

وكل ما يذكر فى الجملة غير الموضوع والمحمول فهو تكملة وحكم التكملة أنها مفتوحة دائما ، الا اذا كانت مضافا اليها أو مسبوقة بحرف اضافة ٠

وتجيء التكملة لبيان الزمان والمكان أو لبيان العلة أو لتأكيد الفعل أو بيان نوعه ولبيان المفعول أو لبيان الحالة أو النوع وبذلك أراد المجمع أن يؤلف ويجمع بين كثير من الأبواب كالمفاعيل والحال والتمييز تحت اسم واحد وهو التكملة دون تضييع الغرض ٠

ولقد سبق أن ناقشنا مقترحات المجمع(٣٣) وقد قلنا ان الاســتغناء عن الاعــراب التقديرى أمر لايتفق وطبيعــة العــربية التى تفرق بين الاسم المتمكن فى باب الاســمية ، الأمكن فى هذا البــاب والاسم المتمكن غير الأمكن والاسم المبنى أى الغير المتمكن ، وقلنا ان الغاء الاعراب التقديرى يفصل بين العلاقة بين الأصل والفــرع ، ففى قولنــا هذا هدى : هذا مبنى على السكون فى محل رفــع ؛ وهذا ليس بتعقيد لأن اسم الاشارة انما جاء بدلا عن اسم ظاهــر ، وهذا الاسم المبنى اشارة ورمز لما هو معرب ، فيأخذ حكمه الثابت وهو البناء ثم يفصح عما ينبغى أن يشــغل مكــانه وهو الاسم المعرب المعروف لدى المتلقى

وفيما يتعلق بالاكتفاء بألقاب البناء وهى الضم والفتح والكسر والسكون ، الاكتفاء بها عن ألقاب الاعراب : الرفع والنصب والجر والجزم فهذا ســوف يزيد الأمر لبســـا ، وهذا يتضح فى قولنا : « أنت مسلم » فكيف يعرب الضمير أنت ، فهل يقال مبتدأ مفتوح ، الأمر الذى يعكس كثيرا من البعد عن أصل الابتداء ، وهذا يعنى أثناء نيسر من ناحية ما نصعبه من ناحية أخرى .

واختيار المجمع لمصطلح الموضوع والمحمــول أو المحدث عنه والحديث بمثابة حذف مصطلح والمجىء بمصطلح آخر وهذا لا يزيد فى التيسير شيئا ولم يضف معنى .

وكذلك الغاء الضمير المستتر ينقص أصلا من الأصــول اللغــوية ؛ ولقد عقد ابن جنى فى الخصــــائص بابا فى أن المحذوف اذا دلت الدلالة عليه كان فى حكم الملفوظ به الا ان يعترض هناك من صناعة اللفظ ما يمنع ذلك . (٣٤)

---

(٣٣) انظر ٢٨ وما بعدها من كتابنا صور الاعراب ودلالاته سجل العرب . ١٩٧٩ .

(٣٤) الخصائص ١/٢٨٩ الهدى . بيروت وانظر صور الاعراب ودلالاته للمؤلف ٢٧ وما بعدها .

الباب الثانى

القضــايا النقدية

الفصــل الأول

القــراءات والنحــو

عنى المسلمون الاوائل بالنحو العربى مستهدفين القرآن الكريم فتعلموا قواعد العربية حتى لا يقعوا فى اللحن ، وكان ذلك بعد انتشار الاسلام وبعد أن دخل النــاس فى دين الله أفــواجا ، ودخل فى هذا الدين الحنيف كثير من الموالى الذين كانت لغتهم الأصــلية غير العــربية ، وعرف اللحن بقلة على ألسنة بعض العرب وبكثرة على ألسنة المــوالى ، وكان الحرص شديدا على ضرورة أن يقرأ الموالى القــرآن الكريم قراءة صحيحة حتى لايحرفوا الكلم عن مواضعه ، ومن أمثلة ما ســمع من لحن قراءة الآية الكــريمة « ان الله برىء من المشركين ورسوله » التى تقــرأ برفع ونصب كلمة رسول قرئت جرا على اللحن ، وواضح بشــاعة اللحن فى الدلالة ، ولم تكن معــارك المسلمين مــع اللحن بأقــل من معاركهم بالسلاح ضد الكفار والمشركين ؛ ذلك أن اللحن فى النص القــرآنى يحــرف المعنى ، فاذا عرفنـــا أن المجتمع الاســـلامى كان بداخله كثير من الذين كــادوا للاســـلام والمسلمين أدركنا ما أدركه السلف من ضرورة الاســراع بوضع قواعد العربية ضبطا للنطق بكتاب الله ، ولقد عرف اللحــن فى زمن الرســـول ﷺ وكــان اذا ســمع واحـــدا يلحن يعتبر اللحن ضلالة وكان عمر بن الخطــاب يقــول :

« لأن أقرأ فاخطىء احب الى من ان أقرأ فالحن ، لانى اذا أخطأت رجعت واذا لحنت افتريت . » (١)

وعزى الى الخليفة الراشد على بن أبي طالب انه امر ابا الأسود بأن يرسم أو يضبط المصحف لأهمية هذا العمل الجليل فى النطق الصحيح لآى الذكر الحكيم .

ولقد عنى النحويون بقراءات الذكر الحكيم ، وألف المشتغلون بالاعراب فى القراءات ، ومن أمثلة ذلك كتاب القراءات لأبى حاتم السجستانى وكتاب القراءات لثعلب وذكر ابن النديم كتابا فى القراءات لأبى عمرو بن العلاء (٢)

يقول ابن مجاهد :

« من حملة القرآن المعرب العالم بوجوه الاعراب والقراءات العارف باللغات ومعانى الكلام ، البصير بعيب القراءات المنتقد للآثار ، فذلك الامام الذى يفزع اليه حفاظ القرآن فى كل مصر من أمصار المسلمين ؛ ومنهم من يعرب ولا يلحن ولا علم له بغير ذلك ، فذلك كالأعرابى الذى يقرأ بلغته ، ولا يقدر على تحويل لسانه ،فهو مطبوع على كلامه، ومنهم من يؤدى ما سمعه ممن أخذ عنه ، ليس عنده الا الاداء لما تعلم ، لايعرف الاعراب ولا غيره فذلك الحافظ فلا يلبث مثله أن ينسى اذا طال عهده فيضيع الاعراب لشدة تشابهه وكثرة فتحه وضمه وكسره فى الآية الواحدة لأنه لايعتمد على علم بالعربية ولا به بصر بالمعانى ، يرجع اليه ، وانما اعتماده على حفظه وسماعه ، وقد ينسى الحافظ فيضيع السماع وتشتبه عليه الحروف ، فيقرأ بلحن لايعرفه وتدعوه الشبهة الى أن يرويه عن غيره ويبرىء نفسه ، وعسى أن يكون عند الناس مصدقا فيحتمل ذلك عنه،

(١) الايضاح فى علل النحو للزجاجي ٩٥ .

(٢) انظر الفهرست ٢٤ فلوجل .

وقد نسيه ووهم فيه وجسر على لزومه والاصرار عليه ، أن يكون قد قرأ على من نسى وضيع الاعراب ودخلته الشبهة فيتوهم ، فذلك لايقلد القراءة ولا يحتج بنقله . » (٣)

والقراءة سنة متبعة عن رسول اللهصلى اللهعليه وسلم، وقد قرىء القرآن الكريم بسبعة أحرف . (وتخفيفا على القبائل ومراعاة للهجاتها المختلفة كان الرسول عليه (الصلاة) والسلام يتلو كلماته بلهجات مختلفةتيسيرا على أهل تلك القبائل فى تلاوته ، وكان يحدث أن يتلو بعض الصحابة آيات بلهجة سمعها من الرسول شفاها ، فى حين قد سمع نفس الآيات – وربما كانت سورة – بعض الصحابة بلهجة أخرى تغاير اللهجة الأولى على نحو ماروى عن عمر بن الخطاب اذ ذكر أنه سمع هشام بن حكيم بن حزام القرشى يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأها له الرسول ، فأخذ بتلابيبه ، حتى وقف به بين يدى الرسول ، وقص عليه الخبر ، فلم ينكر على هشام ، ولما كثر من الصحابة ذلك قال عليه السلام : « ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه » وهو لايريد بالسبعة عددا معينا انما يريد كثرة الحروف واللهجات التى نزل بها تسهيلا على العرب أن ينطقوا من كلماته بلهجاتهم مالا يمكنهم أن ينطقوه بلغة قريش ولهجاتها الخاصة ، وأخذ هو نفسه يصنع ذلك تيسيرا وتسهيلا . » (٤)

والقراءة تنقسم الى متواتر وآحاد وشاذ ، فالمتواتر القراءات السبعة المشهورة ، والآحاد قراءات الثلاثة التى هى تمام العشر ويلحق بها قراءة الصحابة ، والشاذ قراءة التابعين كالأعمش ويحيى بن وثاب وابن جبير ونحوهم .

(٣) كتاب السبعة فى القراءات تحقيق الدكتور شوقى ضيف ص ١٦١ دار المعارف .

(٤) انظر مقدمة كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد تحقيق د . شوقى ضيف .

يقول السيوطى : « وأحسن من تكلم فى هذا النوع امام القراء فى زمانه شيخ شيوخنا أبو الخير بن الجزرى قال فى كتابه النشر : كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهى القراءة الصحيحة التى لايجوز ردها ولايحل انكارها ، بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ، ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليه ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة ام عمن هو أكبر منهم ، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف » (٥)

ويقول ابن الجزرى : « قولنا فى الضابط ولو بوجه نريد به وجها من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحا مجمعا عليه أم مختلفا فيه لايضير مثله اذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاه الأئمة بالاسناد الصحيح ، اذ هو الأعظم والركن والأقوم ، وكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم ولم يعتبر انكارهم كاسكان بارئكم ويأمركم ، وخفض والأرحام ،ونصب ليجزى قوما ،والفصل بين المضافين فى قتل أولادهم شركائهم وغير ذلك » (٦)

قال أئمة القراء : « لا تعمل فى شئ من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة والأقيس فى العربية بل الأثبت فى الأثر والأصح فى النقل ، واذا ثبتت الرواية لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير اليها » (٧) .

---

(٥) الاتقان فى علوم القرآن ١/٩٩ وانظر مقدمة النشر فى القراءات العشر الجزرى .

(٦) الاتقان فى علوم القرآن ١/٩٩ .

(٧) الاتقان ١/١٠٠ .

وبالاشارة التى ذكرها ابن الجزرى لبعض القراءات يحسن أن نذكر رأى ابن جنى فى بعض القراءات قال ابن جنى فى باب أن المحذوف اذا دلت الدلالة عليه كان فى حكم الملفوظ به الا أن يعترض هناك من صناعة اللفظ ما يمنع ذلك ، يوجه ابن جنى قراءة حمزة : يقول ابن جنى : على نحو من هذا تتوجه عندنا قراءة حمزة ، وهى قوله سبحانه : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام . » ليست هذه القراءة عندنا من الابعاد والفحش والشناعة والضعف على ما رآه فيها وذهب اليه أبو العباس ، بل الامر فيها دون ذلك وأقرب وأخف وألطف ، وذلك أن لحمزة أن يقول لأبى العباس : اننى لم أحمل الأرحام ، على العطف على المجرور المضمر ، بل اعتقدت أن تكون فيه باء ثانية حتى كأنى قلت : (وبالأرحام) ثم حذفت الباء لتقدم ذكرها ، كما حذفت لتقدم ذكرها فى نحو قولك : بمن تمر أمر ، وعلى من تنزل أنزل ، ولم تقل أمر به ولا أنزل عليه ، لكن حذفت الحرفين لتقدم ذكرهما » (٨) .

وأحيانا يلجأ النحاة الى توجيه كلمة فى القرآن الكريم توجيها اعرابيا معينا وفق ما يراه كل منهم ، من ذلك مثلا مذهب سيبويه فى اعراب (رسول) فى قوله تعالى : (أن الله برىء من المشركين ورسوله .) على رفع رسول على العطف على الابتداء ، مثل قولك : ان زيدا ظريف وعمرو ، وعارضه السيرافى على أساس أن همزة أن ليست مكسورة وانما هى مفتوحة فى قوله تعالى : (وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله) .

ويرى السيرافى أن رفع رسول على وجهين أحدهما : أن أذان اعلام ، ولو قيل وأذان من الله ورسوله الى الناس

---

(٨) الخصائص ١/٢٨٦ ط دار الكتب .

ورسوله الله برىء وأن الله برىء من المشركين ورسوله والوجه الآخر : أن يعطف ورسوله على الضمير الذى فى برىء ، ويكون ذلك حسنا لفصل المشركين بينهما كما حسن العطف فى قوله : « ما أشركنا ولا آباؤنا » للفصل بلا (٩)

ولقد ذهب أستاذنا الدكتور شوقى ضيف الى أن سيبويه والخليل لم يردا قراءة من القراءات وأن الأخفش احتج فى غير موضع لبعض القراءات التى يظن أنها خارجة على قياس النحو البصرى ، وكان الكسائى – وهو واحد من القراء السبعة يرد بعض القراءات ولا يجوزها وأن البصريين الذين خطأوا بعض القراءات انما اقتدوا فى ذلك بالفراء ، ومن يرجع الى كتاب معانى القرآن يجد الآيات التى خطأوا القراء فيها قد سبقهم الى تخطئة جمهورها الأكبر ، فهو الذى فتح لهم هذا الباب على مصاريعه ·

يؤكد أستاذنا الدكتور شوقى ما يأتى :

أولا : الفراء هو أول من ضعف بعض القراءات وتبعه فى ذلك المبرد ·

ثانيا : حمل صاحب الانصاف البصريين مسئولية اضعاف بعض القراءات ·

ثالثا : كان الأخفش الأوسط يصحح بعض القراءات ·

رابعا : انكار المازنى بعض القراءات كان يتابع فيه الفراء ،

خامسا : الفراء هو أول من أنكر قراءة نافع « لمعايش »

---

(٩) انظر شرح السيرافى ق ١٥ مجلد ٣ فى باب ما يكون محمولا على ان الكتاب ١٤٤ /٢ ·

مهموزة فى قوله تعالى : « ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون » (١٠)

وقال أبو عمرو بن العلاء فى وجوه القراءة : « لولا أنه ليس لى أن أقرأ الا بما قد قرىء به لقرأت حرف كذا كذا وحرف كذا كذا · » (١١)

ويقول ابن مجاهد فيما روى من حروف القرآن : « منها المعرب السائر الواضح ، ومنها المعرب الواضح غير السائر ، ومنها اللغة الشاذة القليلة ، ومنها الضعيف المعنى فى الاعراب غير أنه قد قرىء به ، ومنها ماتوهم فيه فغلط به – فهو لحن غير جائز – عند من لايبصر من العربية الا اليسير ، ومنها اللحن الخفى الذى لا يعرفه الا العالم النحرير ، وبكل قد جاءت الآثار فى القراءات · » (١٢)

ومعروف أن أبا عمرو بن العلاء واحد من النحاة اللغويين الأدباء القراء ، يقول ابن مجاهد فى حديثه عن أبى عمرو : « كان مقدما فى عصره ، عالما بالقراءة ووجوهها قدوة فى العلم باللغة ، امام الناس فى العربية ، وكان مع علمه وفقهه بالعربية متمسكا بالآثار ، لايكاد يخرج اختياره عما جاء عن الأئمة قبله ، متواضعا فى علمه ، قرأ على أهل الحجاز وسلك فى القراءة طريقهم ، ولم نزل العلماء فى زمانه تعرف له تقدمه ، وتقر له بفضله ، وتأتم فى القراءة بمنهجه » (١٣) ·

ومعروف أن مدرسة الكوفة النحوية تخرج فيها ثلاثة قراء هم عاصم وحمزة والكسائى ، ولقد ذهب استاذنا

---

(١٠) انظر المدارس النحوية ٢١٩ ·

(١١) السبعة ٤٨ ·

(١٢) نفسه ·

(١٣) نفسه ٨٢ ·

الدكتور شوقى ضيف الى أن الأخفش الأوسط سعيد بن سعدة ، هو الذى دفع الكوفيين الى اتخاذ القراءات مصدرا للقواعد مهما كانت شاذة (١٤) ويقول : « ان الذى دفع الكسائى الى أن يفسح فى العربية للغات الشاذة أنه كانت تجرى فى قراءته حروف تشذ على قواعد النحو البصرى . » (١٥)

ويرى على النجدى ناصف : « أن الذى دعا الكوفيين الى تحكيم الشواذ فى النحو هو طول اشتغالهم بالقرآن وانقطاعهم له ، حين كان البصريون يضعون أسس النحو ويرفعون قواعده ، فظفرت الكوفة وحدها بثلاثة من القراء السبعة ؛ ولم يظفر كل من مكة والمدينة والبصرة والشام الا بقارىء واحد منهم . والقراءة ـ كما يقولون ـ سنة متبعة ، المعول الأول فيها على الرواية وسندها ، لا على اللغة وشيوعها ، فأورثهم ذلك نوعا من تهيب النص ، والتحرج فى اهداره . لذا كان موقفهم منه مخالفا لموقف البصريين منه فى الاستنباط والاحتجاج . » (١٦)

ويرى أن « لهذه الظاهرة شبيها فى نحو الأندلس ، اذ كان أكثر نحاتها من القراء . فنرى ابن مالك ـ وهو من هو بين النحاة عامة يكثر مالا يكثر غيره من الاستشهاد بالحديث ، ويتجرد لتأليف كتابه التوضيح فى حل مشكلات الجامع الصحيح ، عنى فيه بتوجيه الأحاديث التي جرت فى صحيح البخارى على وجوه غير مقررة فى العربية . ونرى أبا حيان من كبار شيوخها أيضا لايزال كلما رأى تفريعا لحكم ليس له سند من رواية يصيح فى أعقابه بنحو قوله :

---

(١٤) المدارس النحوية ص ١٠٠ .
(١٥) المدارس النحوية ١٧١ .
(١٦) انظر العدد الخامس والعشرين من مجلة المجمع ١٣٨٩ ـ ١٩٦٩ . ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

« ينبغى الاقتصار فى هذا على السماع ، أو هذا ليس له سند من سماع » (١٧)

ويذهب الدكتور شوقى ضيف الى أن الكسائى هو الذى بدأ تخطئة القراء ، اذ نرى الفراء يتوقف فى معانى القرآن مرارا ليقول ان الكسائى كان لايجيز القراءة بهذا الحرف أو ذاك . (١٨)

ويستشهد بقول الفراء تعليقا على قراءة يكون بالرفع والنصب فى قوله تعالى فى سورة النحل : « انما قولنا لشىء لها أردناه أن نقول له كن فيكون . » (١٩) وقوله جل وعز فى سورة يس : « انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » (٢٠) بالنصب لأنها (مردودة على فعل قد نصب بأن وأكثر القراء على رفعها ، والرفع صواب) وذلك أن تجعل الكلام مكتفيا عند قوله (فى سورة النحل) اذا أردنا أن نقول له كن ، فقد تم الكلام ، ثم قال : فيكون ما أراد الله ، وانه لأحب الوجهين الى ، وان كان الكسائى لا يجيز الرفع فيها ويذهب الى النسق « عطفا على الفعل المنصوب بان . » (٢١)

ويرى الدكتور شوقى ضيف أن الفراء وشيخه الكسائى هما اللذان فتحا للبصريين التالين لهما تخطئة بعض القراءات من أمثال المازنى والمبرد والزجاج بينما أغلق الكوفيون الذين خلفوهما هذا الباب ، بل قد مضوا يتوسعون فى الاحتجاج بالقراءات الشاذة مقتدين بالأخفش

---

(١٧) نفسه .
(١٨) المدارس النحوية ١٥٧ .
(١٩) الآية ٤٠ .
(٢٠) الآية ٨٢ .
(٢١) معانى القرآن ٧٥ الجزء الأول . دار الكتب .

ولعل فى ذلك ما يسقط التهمة التى اتهم بها بعض المعاصرين نحاة البصرة عامة · اذ زعموا أنهم كانوا يطعنون على القراءات ؛ كما زعموا (٢٢) أن الكوفيين عامة كانوا يقبلونها ويحتجون بها ، ويرى الدكتور شوقى أن الكسائى كا نيرد بعض القراءات ولا يجوزها وأن البصريين الذين خطأوا بعض القراءات انما اقتدوا فى ذلك بالفراء ، ومن يرجع الى كتاب معانى القرآن يجد الآيات التى خطأوا القراء فيها قد سبقهم الى تخطئة جمهورها الأكبر ، فهو الذى فتح لهم هذا الباب على مصاريعه · (٢٣)

القاعدة التى وضعها القراء تقول : « أئمة القراء لاتعمل فى شىء من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة والأقيس فى العربية بل على الأثبت فى الأثر والأصح فى النقل والرواية · اذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية · » (٢٤)

وقال أحمد بن فارس : « ان لعلم العرب أصلا وفرعا ، اما الفرع فمعرفة الأسماء والصفات كقولنا : رجل وفرس، وطويل وقصير وهذا الذى يبدأ به عند التعلم ، وأما الأصل فالقول على موضوع اللغة وأوليتها ومنشئها ثم على رسوم العرب فى مخاطباتهم ومالها من الافتنان تحقيقا ومجازا — والناس فى ذلك رجلان : رجل شغل بالفرع فلا يعرف غيره ، وآخر جمع الأمرين معا ؛ وهذه هى الرتبة العليا ، لأن بها يعلم خطاب القرآن والسنة وعليها يعول أهل النظر والفتيا ··· ولو أنه لم يعلم توسع العرب فى مخاطباتها لعى بكثير من علم محكم الكتاب والسنة » (٢٥)

---

(٢٢) المدارس النحوية ١٥٨ ·

(٢٣) المدارس النحوية · ٢١٩ ·

(٢٤) النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ص ٩ ·

(٢٥) الصاحبى فى فقه اللغة ·

ويقول الدكتور مصطفى مندور فى حركة الجدل التى قامت حول القراءات : « هى فى أصلها حركة لغوية خالصة، وسواء كانت القراءات المتواترة أو الأحاد أو الشاذة فهى ترتد الى توجيهات لغوية ، وحين صار على شيوخ القراءة اختيار أصحاب القراءات السبع ، أو العشر أو غيرهم كان الاختيار مستندا — بعد التسليم بصحة الرواية — الى منزلة القراء فى مجال المعرفة اللغوية · » (٢٦)

ويعلق الدكتور مصطفى مندور على الحديث الشريف : « نزل القرآن بسبع لغات كلها كاف شاف » بأن هذا الحديث هو نفسه الذى لعب دوره العظيم فى تجويز الكثير من القراءات القرآنية والتى لولاها لغاب من تاريخ اللغة شىء كثير من سماتها وخلافاتها ، ومن ثمة لبدت متحوصلة فى قالب اختاره نفر من رجالها لا عاصم لهم من الخطأ أو الاسراف · » (٢٧)

ويرى الدكتور ابراهيم أنيس أن موقف النحاة من القراء كان فى أول الأمر موقف مهادنة لا يعرضون للقراءات بخير أو شر ، لأن من أئمة النحو الأول من كانوا أيضا أئمة فى القراءة القرآنية ؛ كالكسائى وربما أيضا أبى عمرو بن العلاء ·· ويرى أنه حين استقل النحويون عن القراء وتخصص قوم فى دراسة النحو وتوفر آخرون على دراسة القراءات عمد النحاة الى بعض القراءات يجرحونها وينتقصون منها ومنهم من رفضها وأبى الاعتراف بها ، فاذا قرأ حمزة : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام · » كسر الميم فى الأرحام ، قال النحاة المتأخرون : لا يعطف على مضمر مخفوض الا باعادة خافضه ، وردوا هذه القراءة رغم روايتها ؛ عن أحد أئمة القراء السبعة واذا قرأ ابن عامر قارىء الشام وهو من القراء السبعة أيضا :

---

(٢٦) اللغة والحضارة ص ٢٤ ·

(٢٧) اللغة والحضارة ص ٤٦ ·

« وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم » بضم كلمة قتل وفتح كلمة أولادهم وكسر كلمة شركائهم . رد النحـــاة هذه القـــراءة لانهم لا يجيزون الفصـــل بين المضاف والمضاف اليه فى مثـل هذا ، وكان الزمخشرى من أشد النحاة اباء لهذا اذ قال : « ان الفصل بين المتضايفين لو كان فى مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا فكيف فى القرآن المعجز . » (٢٨)

ويقول الدكتور أنيس « اتسعت الشقة بين النحـــاة والقراء وبدأنا نسمع بما يسمى بالقراءات الشـــاذة ، التى رغم صحة سندها وروايتهـــا عن بعض أئمة القـــراءات من القدماء استطاع النحاة بنفوذهم وسلطانهم أن يصرفوا الناس عنها ، مثل قراءة « الحمد لله رب العـــالمين » بنصب الدال عند بعض القراء وخفضها عند آخـــرين منهم ، وكذلك القراءات التى ذكـــرها ابن جنى فى كتـــاب المحتسب وقد عدها القراء المتأخرون بعد أن خضعوا لسلطان النحـــاة من القراءات الشاذة ، وأغلب الظن أن تلك القراءات الكثيرة التى لم تصلنا والتى يشير اليها ابن الجزرى بقوله : « فان القراءات المشهورة اليـــوم عن السبعة والعشرة والثـــلاثة عشر بالنسبة الى ما كان مشهورا فى الأعصـــار الأول ، قل من كثر ونزر من بحـــر » (٢٩) قد اشـــتملت على كثير من المخالفات لاعراب النحـــاة ، وما استقر عليه رأيهـــم فى قواعده . » (٣٠)

ويرى الدكتور ابراهيم أنيس أن النحـــاة تمكنـــوا فى العصور المتأخرة من السيطرة على الدارسين للقـــراءات ورأينا فيمن ألفوا فى القـــراءات فيمـــا بعد من يشترطون

(٢٨) .
(٢٩) النشر فى القراءات العشر ص ٣٣/ ط ١ .
(٣٠) من اسرار اللغة ص ٢٠٧ ط ٥ الانجلو .

لصحة القراءة موافقتها لقـــواعد النحـــاة كابن الجزرى فى القرن الثامن الهجرى وغيره :

ويرى أن النحاة حين استقرت لهم قواعدهم الاعرابية فرضوها على الفصحاء من العرب وفرضوها على الفحول من الشعراء ثم فرضـــوها فى آخـــر الأمر على أصـــحاب القراءات .

ويقول من أين أتى لهم كل هذا السلطان ؟ الا أن تقول ان تلك القواعد الاعرابية رغم وجود أساس لها فى لغة العرب ، قد نسقها النحاة تنسيقا جديدا فيه من قياسهم وابتكارهم قدر غير قليل ، وان تلك الأصول الاعرابية قد بدت للناس فى صورة علم جديد أو اختراع حديث ، فمن أتقنهـــا منهـــم نال الحظوة عند أولئك النقاد والعتـــاة أصحاب النحو ، وارتفع بنفسه عن مستوى العامة الى مستوى الخاصة من الناس . وهكذا أصبح الاعراب شعار العصر أيام الرشيد والمأمون وفى تلك العصـــور الاسلامية الزاخـــرة ، ومرت الأيام على تلك الأصـــول الاعرابية فازدادت رســـوخا وأصبحت تحـــل من نفـــوس المتعلمين مكـــان التقـــديس والعبادة . (٣١)

وفى ظنى أن الدكتـــور أنيس رحمه الله جـــاوز ما أراده النحاة من النص القـــرآنى الكريم ، فقد اعتد النحـــاة بأى الذكر الحـــكيم ركيزة مادتهم يتبـــارون فى معرفة أوجـــه اعرابها ، وكان لثراء لغة القرآن الكريم ما أتاح للنحاة هذا الاجتهاد فى التحقق من المعـــانى من خلال الاعراب ، اعتدل بعضهم فى هذا المجال ، وكان تحمس الآخرين الى مزيد من الفهم واضحا فى اعراب القرآن ، وزخرت مؤلفات النحـــاة فى كتب اعراب القرآن . ولقد عرفنا أن أوائل المشـــتغلين

(٣١) من اسرار اللغة ٢٠٩ .

بالعربية كانوا من القراء ، وعلى رأسهم أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) وهو واحد من السبعة ، وكذلك كان امام الكوفة على بن حمزة الكسائى من القراء السبعة (ت ١٧٩هـ) وكانت لعبد الله بن أبى اسحق الحضرمى قراءة وكذلة عيسى بن عمر الثقفى ·

وكتاب الفهرست لابن النديم يحدثنا عن هؤلاء النحاة الذين ألفوا فى معانى القرآن وفى مشكل اعراب القرآن ومجاز القرآن ، ألفها المشتغلون بعلم الاعراب ·

ولقد ذكر ابن النديم معانى القرآن للكسائى وكتاب معانى القرآن للأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة ، ومعانى القرآن للرؤاسى ، ويونس بن حبيب الضبى ، وأبى العباس محمد بن زيد المبرد وقطرب ، ومعانى القرآن للفراء والكتاب بين أيدينا يعبر عن قدرات صاحبه فى الوقوف على سمات العربية وخصائصها فى المرونة والمطاوعة ، كما يكشف عما يحتمله النص وفق النظر النحوى الثاقب ، مادامت المطاوعة قائمة على اتساع العربية وليست انطلاقا من غير قاعدة ·

ومن جهود المشغلين فى الاعراب أيضا فى مجال التأليف فى اعراب القرآن ، ماذكره ابن النديم عن كتاب معانى القرآن لابن كيسان ولابن الأنبارى · والزجاج ، وكتاب الزجاج حقق فى القاهرة ، وذكر معانى القرآن لخلف النحوى ، ومعانى القرآن لثعلب ومعانى القرآن لأبى معاذ الفضل بن خلف النحوى ، ووصفه بأنه كتاب كبير عمله لاسحق بن ابراهيم الطاهرى ، وكتاب التوسط بين ثعلب والأخفش فى المعانى لابن درسويه ·

وفى غريب القرآن ذكر ابن النديم كتاب أبى عبد الرحمن اليزيدى ، وغريب القرآن لمحمد بن عزيز

السجستانى ، وكتاب أعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه ، وهو مطبوع ·

وألف رجال الاعراب فى لغات القرآن ومن أمثلة ذلك كتاب لغات القرآن للفراء وكتاب لغات القرآن لأبى زيد ·

وألف المشتغلون بالاعراب فى القراءات ، ومن أمثلة ذلك كتاب القراءات لأبى حاتم السجستانى وكتاب القراءات لثعلب وغريب القراءات له أيضا وذكر ابن النديم كتابا فى القراءات لأبى عمرو بن العلاء · وألفوا كذلك فى النقط والشكل ولامات القرآن والوقف والابتداء ، واختلاف المصاحف ووقف التمام ومتشابه القرآن وفى الهجاء وفى مقطوع القرآن وموصوله ، وفى أجزاء القرآن وفى فضائل القرآن وفى ناسخ القرآن ومنسوخه وفى النزول (٣٢) ·

كل هذه الجهود الخالصة للقرآن الكريم فى سبيل التحقق من المعانى لا يمكن انكارها أو جحودها ، ولا يمكن فى الوقت نفسه الحكم على أصحابها بالتجاوز لأنهم اعتدوا بالقرآن الكريم ركيزة القاعدة الاعرابية ·

ومن المؤلفات الحديثة التى هاجمت موقف النحاة من القراءات تلك الدراسة التى قام بها الدكتور أحمد مكى الأنصارى بعنوان سيبويه والقراءات دراسة تحليلية معيارية · (٣٣)

وهذه الدراسة مقسمة الى مباحث أولها فى قضية المعارضة الصريحة للقراءات عند سيبويه والمبحث الثانى فى قضية المعارضة الخفية للقراءات عند سيبويه والمبحث الثالث فى قضية التأويل فى كتاب سيبويه والمبحث الرابع فى قضية موافقة الكتاب للكتاب ·

---

(٣٢) الفهرست لابن النديم ص ٢٤ فلوجل ·

(٣٣) توزيع دار المعارف ١٩٧٢ ·

ويقول المؤلف : « وأشهد أن سيبويه كان فى قمة الذكاء وبخاصة حينما يريد اخفاء ما فى نفسه حيال قراءة من القراءات التى يعارضها ، ولكنه لا يريد ان يتصدى لها بالانكار الصريح لسبب أو لآخر !! فكان يلف ويدور !! واخيرا يضع القاعدة النحوية التى تصطدم بهذه القراءة وتردها ردا قاطعا دون أن يذكر القراءة نفسها ٠٠ ومن هنا خفيت مقاصده على كثير من الباحثين فقالوا ان سيبويه لم يخطىء شيئا من القراءات القرآنية » (٣٤)

ويقول : « وحينما عشت مع سيبويه طويلا تكشفت لى خفاياه وزواياه ٠ ورأيت فيما رأيت أن موقفه من القراءات يتلخص فيما هو آت :

١ ـ موقف المعارضة الصريحة لبعض القراءات ٠

٢ ـ موقف المعارضة الخفية لبعض آخر بحيث يضع القاعدة النحوية التى تصطدم بالآية دون أن يصرح بالآية نفسها ٠

٣ ـ موقف التأويل « والاخضاع » (٣٥) للآيات التى تتعارض مع القاعدة البصرية ٠

٤ ـ موقف الموافقة على القراءات التى تندرج تحت القواعد النحوية (٣٦)

وواضح من أسلوب الدراسة التحيف الشديد على سيبويه خاصة أن النصوص التى فى الكتاب لا تؤكد ماذهبت اليه الدراسة ٠

---

(٣٤) سيبويه والقراءات ٢٣٩ ٠

(٣٥) هكذا كتب مؤلف سيبويه والقراءات ٠

(٣٦) سيبويه وقراءات ٢٣٩ وما بعدها ٠

يقول مكى الأنصارى : « ولا أخفى على القارىء اننى شفقت على صاحبى (٣٧)) من هذه التبعة (٣٨) واردت أن أحملها لأصحابها البصريين (كذا) فذهبت الى كتاب سيبويه أستفتيه وأمعن فيه بحثا وتنقيبا لعلى أظفر بطعن فى هذه القراءة ـ يعنى قراءة ابن عامر ـ وعبثا حاولت فايقنت أو رجحت أنه كان ـ يعنى الفراء ـ أول من فتح باب الطعن حقا فليتحمل جريرة ما قدمت يداه (كذا) ٠ » (٣٩)

وهكذا ترك نقد سيبويه فى رد قراءة ابن عامر واتجه الى الفراء يحمله ما قدمت يداه على الرغم من أن الفراء يعد من هؤلاء الذين جعلوا القرآن الكريم نصب أعينهم فى الاستدلال ووضع القاعدة النحوية ، فقد اتخذ لغة القرآن الكريم مثلا أعلى للفصاحة ، وكان يؤكد أنه ليس فى القرآن الكريم لغة ضرورة ٠

يقول يوهان فك : « وكان ـ يعنى الفراء ـ يرد على بعض علماء الشعر ورواة الأخبار التاريخية عن عرب البادية الذين لايريدون أن يلتمسوا اعجاز القرآن فى قوالبه اللغوية ٠ » (٤٠)

ويقول الفراء : « الكتاب أعرب وأقوى فى الحجة من الشعر ٠ » (٤١)

القرآن الكريم منهل اللغة العذب ، وليس هذا التعبير من التعبيرات المجازية وانما هو تعبير عن الحقيقة التى ربطت ومازالت تربط بين اللغة والقرآن الكريم ، فالقرآن

---

(٣٧) يعنى الفراء ٠

(٣٨) يقصد رد القراءات ٠

(٣٩) أبو زكريا الفراء ٣٩١ ٠

(٤٠) العربية ليوهان فك ص ٥ ترجمة المرحوم النجار ٠

(٤١) معانى القرآن للفراء تحقيق بخاتى والنجار دار الكتب ١٣٧٤ هـ ط أولى ٠

الكريم نزل بلسان عربى مبين ومن ثم تمثلت فيه القـاعدة دون تـكلف أو صـنعة ، وهـذا هـو الذى جعـل اللغويين يتجهون الى آل الذكر الحكيم يلتمسون الاتساع فى القاعدة كما يلتمسون اللغة من مصدر لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

تصور بعض النقاد أن النحـاة تعسفوا القـاعدة من خلال القراءات وفاتهم أن اللغة العربية فيها من الطواعية والاتساع والمرونة ما يضيق به العقل المحدود ،فلما قصد النحاة هذا المنهل العذب فى القراءات القرآنية أدركوا هذا الاتساع واستوعبوا بعض جوانبه ولم يحيطـوا بعد بكل هذا البيان الالهى فى لغة القرآن الكريم لأنه الكتاب المعجز حتى يقوم الناس لرب العالمين .

واذا كان النحاة قد وضعوا أصول القراءات وجعلـوا الأصل الأول موافقة القراءة قواعد العـربية فان عـلاقة النحو بالقراءة هى علاقة الفرع بالأصـل لأن النحـو فرع العـربية والقـرآن الكريم اصـلها ، أخذ منه اللغـويون والنحويون والبـلاغيون وكل الأصـوليين من رجال الفقه والتشريع وغيرهم .

ولقد وضع شيوخ القراء قواعد القـراءة الصحيحة ، فقد حدد الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقى الشهير بابن الجزرى المتوفى٨٣٣ للهجرة أركان القراءة الصحيحة فقال : « كل قراءة وافقت العـربية ولو بوجه ووافقت أحد المصـاحف العثمانية ولو احتمـالا وصـح سـندها فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها ولا يحل انكارها بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بهـا القـرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء

كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم ،هذا هو الصحيح ، عند أئمة التحقيق من السـلف والخلف . » (٤٢) ذهب هذا المذهب الامام الحافظ أبو عمرو عثمـان بن سـعيد الدانى ونص عليـه فى غير موضع الامام أبو محمد مكى بن أبى طالب وكذلك الامام أبو العباس أحمد بن عمـار المهدوى وحققه الامام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن اسـماعيل وهو مذهب السلف الذى لايعرف عن أحد منهم خلافه .

وقال الامام أبو محمد مكى فىمصنفه الذى ألحقه بكتاب الكشف له : ان جميع ما روى فىالقرآن على ثلاثة أقسام : قسم يقرأ به اليوم وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خـلال وهن ان ينقل عن الثقـات عن النبى صلى الله عليه وسـلم ويكون وجهه فى العربية التى نزل بها القرآن سائغا ويكون موافقا لخط المصحف فاذا اجتمعت فيه هذه الخلال الثـلاث قرىء به وقطع على معيبه وصحته وصدقه لأنه أخذ عن اجمـاع من جهة موافقة خط المصحف وكفر من جحده .

والقسم الثانى : ما صح نقله عن الآحاد وصحوجهه فى العربية وخالف لفظه خط المصحف فهذا يقبل ولا يقـرأ به لعلتين احداهما أنه لم يأخذ باجماع انما أخذ بأخبار الآحاد ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد ، والعلة الثـانية أنه مخالف لمـا قد أجمع عليه فد يقطع معيبة وصـحته وما لم يقطع على صحته لا يجوز القـراءة به ولايكفى من جحده ولبئس ما صنع اذا جحده .

والقسم الثـالث : هو ما نقله غيـر ثقة أو نقله ثقـة ولا وجـه له فى العـربية فهذا لا يقبـل وان وافق خط المصحف (٤٣)

---

(٤٢) النشر فى القراءات العشر ١/٩ التجارية .

(٤٣) النشر ١٣ ، ١٤ .

وقال ابن قتيبة : « كان من تيسير الله تعالى ان امر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقرىء كل أمة بلغتهم وما جرت عليه عادتهم فالهذلى يقرأ (عتى حين) يريد حتى ، هكذا يلفظ بها ويستعملها ، والأسدى يقرأ (تعلمون وتعلم ويسود وجوه وألم أعهد اليكم) والتميمى يهمز والقرشى لايهمز والآخر يقرأ (قيل لهم ، وغوض الماء) باشمام الضم مع الكسر و (بضاعتنا ردت) باشمام الكسر مع الضم و (مالك لا تأمنا) باتمام الضم مع الادغام ·

وقال ابن قتيبة : « لو أراد كل فريق من هؤلاء ان يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ولم يمكنه الا بعد رياضة للنفس طويل وتذليل للسان وقطع للعادة فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعا فى اللغات ومتصرفا فى الحركات كتيسيره عليهم فى الدين · » (٤٤)

ومن خلال دراسة علاقة النحو بالقراءة نستطيع أن نقف على النتائج الآتية :

أولا : علاقة النحو بالقراءات علاقة القاعدة بالأصل تحاول أن تقف على أسراره وتستبر معانيه وليست معاذ الله — مجالا لتعسف ؛ ولم يؤخذ على نحوى اتهام فى دينه ، وانما اجتهد جميعهم جهد الطاقة فى سبيل استبيان معانى القرآن الكريم ·

ثانيا : اللغة العربية بخصائصها متعددة القاعدة لانها لغة تتسم بالطواعية ولا تتسم بالجمود ،ومن ثم كان الاتساع بالقاعدة نابعا من سمات اللغة وخصائصها فاذا أخذ النحوى بهذا المنهج فلا تثريب عليه لأنه يعتمد على خصائص اللغة ولا يتعسف القاعدة ·

(٤٤) النشر ٢٣ ·

ثالثا : استهدف النحو أول ما استهدف منذ نشأته تقويم اللسان العربى وعدم تحريف آى الذكر الحكيم ، فكانت مهمة النحو مهمة الضبط القائم على القاعدة خشية أن يلحن الذين دخلوا فى دين الله أفواجا فى نصوص القرآن الكريم، فكانت مهمة النحو مهمة مقدسة ، ومن ثم أراد النحاة ان يحققوا ضبط الآيات الكريمة على ألسنة الموالى ووضعوا قواعد الضبط للسالف والخالفلأن المهمة مقدسة لارتباطها بالقرآن الكريم ·

رابعا : فيما يسمى بالقراءات الشاذة اتجه النحاة الى تبيين وجوه شواذ القراءات والافصاح عنها وبذلت فى هذا المجال جهود كبيرة ، ثم ان القراء — كما يقول ابن الجزرى — تفرقوا فى البلاد وانتشروا وخلفهم أمم بعد أمم ، عرفت طبقاتهم واختلفت صفاتهم ، فكان منهم المتقن للتلاوة ؛ والمشهور بالرواية والدراية ، ومنهم المقتصر على وصف من الأوصاف وكثر بينهم لذلك الاختلاف ، وقل الضبط ، واتسع الخرق ، وكاد الباطل يلتبس بالحق ،فقام جهابذة علماء الأمة وصناديد الأئمة ، فبالغوا فى الاجتهاد، وبينوا الحق المراد ، وجمعوا الحروف والقراءات وغزوا الوجوه والروايات، وميزوا بين المشهور والشاذ والصحيح والفاذ بأصول أصلوها ، وأركان فصلوها · » (٤٥)

ويكثر سيبويه (ت ١٨٠هـ) من الاحتجاج لبعض القراءات التى قرئت بها شواهده من القرآن الكريم وأكثر معوله فى ذلك على العربية ومبلغ القراءة التى يعرض لها من الموافقة للكثير الشائع من الأساليب واللغات ، وعلى تحليل النص لابراز معناه وايضاح ما يكون بينه وبين أشباهه من فروق ·

(٤٥) النشر فى القرارات العشر ·

يقول : « حدثنا من نثق به أنه سمع من العرب من يقول: ان عمرا لمنطلق ، وأهل المدينة يقرءونه : « وان كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم » يخففون وينصبون كما قالوا :

كأن ثدييه حقان

وذلك لأن الحرف بمنزلة الفعل ، فلما حذف من نفسه شيء لم يغير عمله كما لم يغير عمل لم يك ولم ابك حين حذف ، وأما أكثرهم فأدخلوها فى حروف الابتداء بالحذف كما أدخلوها فيحروف الابتداء حين ضموا اليها ما »(٤٦)

ويحدثنا ابن جنى عن شواذ القراءات فيقول : « وضربا تعدى ذلك ، فسماه أهل زماننا شاذا ، أى خارجا عن قراءة القراء السبعة ، الا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة الى قرائه محفوفا بالروايات من أمامه ومن ورائه ، ولعله أو كثيرا منه ، مساو فى الفصاحة للمجتمع عليه ، نعم وربما كان فيه ماتلطف صنعته ، وتعنف بغيره فصاحته وتمطره قوى أسبابه ، وترسو به قدم اعرابه ، ولذلك قرأ بكثير منه من جاذب ابن مجاهد عنان القول فيه وما كنه عليه وراده اليه ، كأبى الحسن أحمد بن محمد بن شنبوذ وأبى بكر محمد بن الحسن بن مقسم ، وغيرهما ممن أدى الى روايته استقوها وأنحى على صناعة من الاعراب رضيها واستقلاها . » (٤٧)

ويضيف ابن جنى : « ولسنا نقول ذلك فسحا بخلاف القراء المجتمع فى أهل الأمصار على قراءتهم أو تسويفا للعدول عما أقرته الثقات منهم ، لكن غرضنا منه أن نرى وجه قوة مايسمى الآن شاذا وأنه ضارب فى صحة الرواية بجرانه ، آخذ من سمت العربية سهلة ميدانه ، لئلا يرى

(٤٦) الكتاب ١/٤٣٢ .

(٤٧) المحتسب ١/٣٢ .

مرى (أى يظن ظان) أن العدول عنه انما هو غض منه أو تهمة له . ومعاذ الله ! وكيف يكون هذا والرواية تنميه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والله تعالى يقول : « وما آتاكم الرسول فخذوه . » (٤٨)

ويذهب ابن جنى الى قوة ما يسمى شاذا فيقول : « الا أننا وان لم نقرأ فى التلاوة به مخافة الانتشار فيه ، ونتابع من يتبع فى القراءة كل جائز رواية ودراية فانا نعتقد قوة هذا المسمى شاذا وأنه مما أمر الله تعالى بتقبله وأراد منا العمل بموجبه وأنه حبيب اليه ومرضى من القول لديه . نعم وأكثر مافيه أن يكون غيره من المجتمع عليه أقوى منه اعرابا وأنهض قياسا ، اذ هما جميعا مرويان مسندان الى السلف ، فان كان هذا قادحا فيه ومانعا من الأخذ به فليكونن ما ضعف اعرابه مما قرأ بعض السبعة به هذه حاله . ونحن نعلم مع ذلك ضعف قراءة ابن كثير «ضئنان» بهمزتين مكتنفتى الألف ، وقراءة ابن عامر : وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم .. وهو أيضا مأخوذ به . » (٤٩)

(٤٨) سورة الحشر آية ٧ .

(٤٩) المحتسب ١/٣٣/٣٢ تحقيق ناصف ، النجار .

الفصل الثانى

الحديث الشريف والنحو

أخذ على النحو العربى عدم الاستشهاد بحديث رسول الله ﷺ ، وكانت الحجة التى استند اليها النحاة أن حديث الرسول روى بالمعنى ، ومن ثم تسقط عندهم حجة الاستشهاد بلفظه فى القاعدة النحوية ، وكذلك بسبب أن معظم رواته كانوا من الأعاجم ·

وفى ظنى أن النحاة لم يستشهدوا بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم تحرجا ، وكان هذا التحرج انعكاسا للرهبة والاجلال لأحاديث الرسول ، وما نقله الرواة من أمر سيبويه حين ترك حلقة الحديث ليتعلم النحو حتى لا يلحن فى حديث رسول الله يؤيد هذا الظن ، ولست من هؤلاء الذين يتهمون النحاة فى دينهم ، وهم الذين عنوا بالعربية حين وضعوا أصولها ، وصنفوا قواعدها ، وكانوا أهل تقوى وصلاح ·

تحرج النحاة فى الاستشهاد بالحديث النبوى اعزازا له واجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ·

قد يقول من يعترض هذا الرأى ، كيف هذا وقد استشهدوا بالقرآن الكريم وعنوا بقراءاته ؟ أقول : لأن القرآن الكريم جاء بنصه ، وهو الزاد الذى اعتمدوا عليه واستنبطوا منه قواعدهم ·

روى عن الامام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) أنه سئل عن حرف من غريب الحديث فقال : « سلوا أصحاب الغريب ،

فانى أكره أن أتكلم فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بالظن فأخطىء » » (١)

وقال المحدثون : « الخوض فيه صعب ، فليتحر خائضه . » (٢)

ولقد وضع اللغويون شروطا دقيقة فى نقل اللغة ، قال ابن الأنبارى : « اعلم أنه يشترط أن يكون ناقل اللغة عدلا ، رجلا كان أو امرأة ، حرا كان أو عبدا كما يشترط فى نقل الحديث ، لأن بها معرفة تفسيره وتأويله ، فاشترط فى نقلها ما اشترط فى نقله ، وان لم تكن فى الفضيلة من شكله . » (٣)

ولقد كثرت الكتابة والتعليق على موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف .

قال عبد القادر البغدادى : « أن الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرئين للاحكام على لسان العرب كأبى عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر، والخليل وسيبويه من أئمة البصريين والكسائى والفراء وعلى بن المبارك الأحمر ، وهشام الضرير من أئمة الكوفيين لم يستدلوا بالحديث ، وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين وغيرهم من نحاة الأقاليم ؛ كنحاة بغداد وأهل الأندلس . » (٤)

وأجاز الرواة فيما قال البغدادى النقل بالمعنى مثل زوجتكها بما معك من القرآن ، وملكتكها بما معك

(١) انظر تدريب الراوى ١٨٤ ، ٢/١٨٥ ومقدمة غريب الحديث لابن قتيبة .

(٢) نفسه .

(٣) نفسه .

(٤) خزانة الأدب ص١/٥ ط أولى بولاق .

من القرآن ، خذها بما معك من القرآن ، وغير ذلك من الألفاظ الواردة ، ولم يلفظ النبى ﷺ بجميع هذه الألفاظ ولا يجزم بأنه قال بعضها ، ويحتمل أن يكون قد قال لفظا مرادفا لهذه الألفاظ ، فأتت الرواة بالمرادف ولم يأت بلفظه اذ المعنى هو المطلوب مع تقادم السماع وعدم ضبطها بالكتابة والاتكال على الحفظ . (٥)

وقال سفيان الثورى : « ان قلت لكم انى أحدثكم كما سمعت فلا تصدقونى انما هو المعنى . » (٦)

وقال أبو حيان : « انما أمعنت الكلام فى هذه المسألة لئلا يقول مبتدىء — ما بال النحويين يستدلون بقول العرب وفيهم المسلم والكافر ، ولا يستدلون بما روى فى الحديث بنقل العدول كالبخارى ومسلم وأضرابهما ، فمن طالع ما ذكرناه أدرك السبب الذى لأجله لم يستدل النحاة بالحديث . » (٧)

ولعل أعنف نقد للنحويين هو ماجاء عن الشاطبى الذى قال : « لم نجد أحدا من النحويين استشهد بحديث رسول الله ﷺ ، وهم يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفهائهم الذين يبولون على أعقابهم ، وأشعارهم التى فيها الفحش والخنا ، ويتركون الأحاديث الصحيحة لأنها تنقل بالمعنى وتختلف رواياتها وألفاظها ، بخلاف كلام العرب وشعرهم . » (٨)

ومن الدراسات الحديثة فى هذا الموضوع ماكتبته

(٥) نفسه ١/٥ .

(٦) نفسه .

(٧) نفسه .

(٨) خزانة الأدب ص ٦ .

الدكتورة خديجة الحديثي عن موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف (٩) وعرضت القضايا الآتية :

١ - مذاهب الاحتجاج .

٢ - نحاة ما قبل الاحتجاج .

٣ - النحاة المحتجون .

٤ - أيصح الاحتجاج بالحديث ؟

وانتهت الدراسة الى النتائج الآتية :

١ - أوائل النحاة احتجوا بالحديث الشريف وان كان احتجاجهم به فى النحو والصرف قليلا .

٢ - من جاء من بعدهم من النحاة على اختلاف أمصارهم بصريين كانوا أم كوفيين أم بغداديين تابعوهم فى الاحتجاج به على قلة ، وان كان متأخروهم قد زادوا من عدد الأحاديث المحتج بها الا أنهم لم يتوسعوا فيها .

٣ - نحاة الأندلس كالسهيلي وابن خروف وابن مالك ومن جاء بعدهم من نحاة الأمصار الأخرى قد توسعوا فى الاحتجاج به واعتمدوا فى وضع قواعد جديدة أو استدراك قواعد على ما وضعه الأوائل على الحديث الذى قاموا باستقرائه من جديد ، وأثبتوا ماجاء منه ، وفيه صور من التعبير تختلف عما أثبته النحاة الأوائل .

٤ - أول من احتج بالحديث من النحاة الأوائل وان كان احتجاجه محدودا هو أبو عمرو بن العلاء شيخ الخليل وسيبويه اللذين زادا عليه فىالاحتجاج واستمر الاحتجاج

---

(٩) انظر ٤٢٣ من كتاب الدكتورة خديجة الحديثى موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث .

به فى التوسع والكثرة حتى زمن الزمخشرى وابن الشجرى وابن الأنبارى حيث كثر عندهم الاحتجاج به وان لم يكن استقراء لما فيه من قواعد وأساليب .

٥ - وتقول الدكتورة خديجة ان سبب قول الباحثين المتأخرين كابن الضائع وأبى حيان والبغدادى ان ابن خروف أو ابن مالك أو السهيلى أول من احتج بالحديث لايريدون به الاحتجاج العارض على ماجاء من قواعد وضعها النحاة الأوائل مبنية على آيات القرآن الكريم وكلام العرب الفصحاء ؛ فقد رأينا سابقيهم احتجوا بالحديث على هذا النحو ، وانما يريدون أنهم أول من قاموا باستقراء الأحاديث واستخلاص ماجاء فيها من قواعد جديدة اثبتوها أو أستدركوا بها على قواعد النحاة الأوائل مما ورد فى أسلوب الأحاديث ولم يرد مثله فى آيات الكتاب العزيز ولا فيما جمعه النحاة من كلام العرب الفصحاء الذى اعتمدوا عليه فى بناء قواعدهم وأصولهم . (١٠)

ويقول الألوسى : « أما الاستدلال بحديث النبى ﷺ فقد جوزه ابن مالك والرضى ، وقد منعه ابن الضائع وأبو حيان وسندها أمران :

أحدهما : أن الاحاديث لم تنقل كما سمعت من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانما رويت بالمعنى .

وثانيهما : أن أئمة النحو المتقدمين لم يحتجوا بشىءمنه

ورد الأول بأن النقل بالمعنى انما كان فى الصدر الأول قبل تدوينه فى الكتب ، وقبل فساد اللغة ، وغايته تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به فلا فرق على أن اليقين غير شرط بل الظن كاف .

---

(١٠) موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف ٤٢٣ ، ٤٢٤ .

ورد الثانى : بأنه لايلزم من عدم استدلالهم بالحديث عدم صحة الاستدلال به ، والصواب جواز الاحتجاج بالحديث للنحوى فى الضبط للألفاظ ، ويلحق به ماورد عن الصحابة وأهل البيت رضى الله عنهم ٠ » (١١)

ويذهب الألوسى الى أن الحديث علىقسمين ، قسميعتنى ناقله بمعناه دون لفظه ، فهذا لم يقع به استشهاد أهل اللسان ٠ وقسم عرف اعتناء ناقله بلفظه المقصود خاصة كالأحاديث التى قصد بها بيان فصاحته ﷺ ، ككتابه لهمدان وكتابه لوائل بن حجر ، والأمثال النبوية فهذا يصح الاستشهاد به فى العربية ٠

وابن مالك لم يفصل هذا التفصيل الضرورى الذى لابد منه ، وبنى الكلام على الحديث مطلقا ، ولايعرف له سلف الا ابن خروف ، فانه أتى بأحاديث فى بعض المسائل حتى نقل عن ابن الضائع أنه قال : لا أعرف هل يأتى بها مستدلا أم هى لمجرد التمثيل ٠ (١٢)

وقال جلال الدين السيوطى :

« وأما كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم فيستدل منه بما ثبت أنه قال على اللفظ المروى وذلك نادر جدا ، وانما يوجد فى الأحاديث القصار على قلة أيضا ، فان غالب الأحاديث مروى بالمعنى ، وقد تداولتها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها ، فردوها بما أدت اليه عبارتهم ، فزادوا ونقصوا وقدموا وأخروا ، وأبدلوا ألفاظا بألفاظ ، ولهذا نرى الحديث الواحد فى القصة الواحدة مرويا على أوجه

---

(١١) اتحاف الأمجاد فى ما يصح به الاستشهاد للسيد محمود شكرى الالوسى ص ٧٧ وما بعدها تحقيق عدنان الدورى بغداد (١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م) ٠

(١٢) نفسه ٨٩ ، ٩٠ ٠

شتى بعبارات مختلفة ، ومن ثم أنكر على ابن مالك اثباته القواعد النحوية بالألفاظ الواردة فى الحديث ٠ » (١٣)

ومن يرجع الى الكتابلسيبويه فسوف يجده مستشهدا بالحديث النبوى فى بعض المواضع ٠

منها قول الرسول ﷺ : « ما من أيام أحب الى الله فيها الصوم من عشر ذى الحجة »

واستشهد بحديثه ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه »

وذكر سيبويه الحديث الثانى فى باب : « مايكون فيه هو وأنت وأنا ونحن وأخواته نفصلا » (١٤)

ويذكره فى نص الكتاب فيقول : « وأما قولهم : « كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه »

ففيه ثلاثة أوجه :

١ – أن يكون المولود مضمرا فى يكون ، والأبوان مبتدآن وما بعدهما مبنى عليها أى خبر ٠

٢ – والوجه الآخر : أن تعمل يكون فى الأبوين ويكون هما مبتدأ وما بعدهما خبرا له ٠

والنصب على أن تجعل هما فصلا ٠ (١٥)

والحديث الأول ورد فى الجزء الأول من الكتاب ص٢٣٢ والثانى ٣٢ ونقله سيبويه فى باب (ما يكون من الأسماء

---

(١٣) الاقتراح للسيوطى وانظر ص ٩٠ من اتحاف الأمجاد ٠

(١٤) ١/٣٩٤ ، ٢/٣٨٩ هـ ٠

(١٥) الكتاب ٢/٣٩٣ ٠

صفة مفردا وليس بفاعل ولا صفة تشبه بالفاعل كالحمد وأشباهه ·

يقول سيبويه : « ومثل ذلك : مامن أيام أحب الى الله عز وجل فيها الصوم منه فى عشر ذى الحجة » ولقد اتخذ أبو على الفارسى (ت ٣٧٧هـ) الحديث النبوى الشريف قاعدة للاستدلال فى دعم القاعدة النحوية والتأكيد عليها ، وأقام على الحديث حججه ومقاييسه النحوية ، من ذلك استشهادة بالحديث الشريف فى حذف المفعول به وذلك بعد الاستشهاد بالقرآن الكريم » ·

قال أبو على الفارسى : (ومنه الحديث لاقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد فى عهده)

المعنى كما ذهب أبو على الفارسى : ولا ذو عهد فى عهده بكافر كما كان فى التقدير فى الآية : « والسموات غير السموات · » (١٦)

---

(١٦) الحجة فى علل القراءات السبع ص ٢٦ تحقيق على النجدى ناصف وآخرين ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م ·

الفصل الثالث

المنهج والأسلوب التعليمى

أثر منهج المعلمين حينما شتتوا القاعدة النحوية فى سرعة تصور هذه القاعدة ، فقد لجأ المعلمون من النحاة الى وضع القاعدة النحوية فى جزئيات وهم يستهدفون بهذا الصنيع التيسير على المتعلمين ، وتحول هذا الشتات النحوى الى الخالفين فتصوروا أن القاعدة النحوية هكذا كانت وهذا هو كل مايتعلق بها ، ولم يعتمدوا فى تأصيلهم لهذه القواعد على أن هذا الأسلوب من أساليب المعلمين يستهدف به تقريب القاعدة الى أذهان المتلقين ·

ومن الغريب أن مناهجنا التزمت هذا الأسلوب ولم تحاول أن تفيد من دلالة النص ولا من المناهج الحديثة فى اعادة صياغة القاعدة النحوية ·

ولنقف عند بعض الأمثلة:

وعلى وجه التحديد المفاعيل ، تدرس هذه المفاعيل منفصلة بعضها عن البعض الآخر ، فيدرس المفعول به والمفعول المطلق والمفعول لأجله والمفعول معه والمفعول فيه زمانا أو مكانا ، والمفعول به المنصوب على الاختصاص ، والمفعول به المنصوب على الاغراء ، والمفعول به المنصوب على التحذير ، والمفعول به فى بعض الأساليب فى مثل أسلوب التعجب نحو : ما أعظم القرآن الكريم ! وكان الحرى بنا أن نوجه القاعدة فى اطار العقل والمنطق ولنتابع هذا التصور فى علاقة هذا الشتات بعضه ببعض وعلاقة المفاعيل بعضها ببعض اتفاقا واختلافا · لماذا لاتدرس صور المفعول به فى الجملة العربية فى اطار واحد متكامل العناصر غير مشتت القاعدة ، بحيث يوجد الشتات تحت

عنوان : صور المفعول به فى الجملة العربية وتجرى على النحو الآتى ·

أولا : المفعول به المباشر ، وهو وقوع الحدث على المحدث له فتقول : قرأت القرآن الكريم ، فالاسم (القرآن) واقع تحت حيز قراءة القارىء وهو المتكلم ·

ثانيا: المفعول به الغير المباشر · وهو وقوع الحدث على المحدث له مع الاستعانة بحرف المعنى أو حرف الجر أو حرف الاضافة فتقول : قرأت عن القرآن الكريم· ونلاحظ أن المعنى مختلف فى الجملة الثانية عن الجملة الأولى ، وهذا يفسر وجود حرف المعنى الذى نلجأ اليه لأن الفعل قاصر من حيث ابلاغ المعنى المقصود ويأتى حرف المعنى مكملا للفعل، فنحن نستعين بحرف المعنى لتوضيح المقصود ، وتتضح دلالة حرف المعنى أكثر اذا قلنا : رغبت فى الشىء ورغبت عن الشىء ، فحرف المعنى هو الذى حدد معنى الفعل رغب ،ومن ثم يدخل المجرور فى باب المفعول به ،ومن أمثلة ذلك أيضا : سرت الى الكعبة وسرت من الكعبة المعنيان مختلفان والذى جعلهما كذلك هو اختيار نوع حرف المعنى ، فالفعل دل على الحركة وحرف المعنى دل على الاتجاه ومن ثم تقول : سرت فى الجامعة وسرت من الجامعة وسرت الى الجامعة وهكذا·

ثالثا : المفعول به المنصوب على الاغراء والتحذير ، لماذا يختص هذا النوع من المفعول به بهذا العنوان ، ولا يندرج تحت صور المفعول به فى الجملة العربية ؟ ففى قولنا : الايمان : أى الزم الايمان كما قال النحويون والكفر أى احذر الكفر نستعمل أسلوبا من أساليب العرب لابراز المفعول به ، فالمفعول به أولى بالمعنى المقصود فى اللحظة التى يغرى به أو يحذر منه وليس من البلاغة فى شىء أن أجعل لدرس المفعول به المنصوب على الاغراء أو التحذير وحدة قائمة بذاتها منفصلة عن درس المفعول به ·

رابعا : المفعول به المنصوب على الاختصاص من الموضوعات التى يفردها النحو العربى بالدراسة وهو كذلك صورة من صور المفعول به فى الجملة العربية ، فلك أن تقول :

نحن ـ أساتذة الجامعة ـ معلمون · فتجد أن الضمير (نحن) عام تقوله جماعة المتكلمين فكل مجموعة متكلمة أو مفرد يعظم نفسه يستعمل نحن ولكنك حينما تقول : أساتذة الجامعة فقد خصصت بعد تعميم فكأنك تناولت بنحن خاصة من الناس ، وهذا يندرج أيضا تحت صور المفعول به فى الجملة العربية ، لماذا اذن لا توحد القاعدة النحوية مع تنوع الاستعمال لأن اللغة العربية فيها من مرونة الاستعمال ما أتاح لها هذا الاتساع فى التعبير ·

بهذا المنهج ليست هناك ضرورة تعبيرية فى أن ندرس الفعل الذى يتعدى الى مفعول واحد منفصلا عن الفعل الذى يتعدى الى مفعولين أو الى ثلاثة مفاعيل لأن القضية مرتبطة بالمعنى ، وانظر الى قوله تعالى : (الرحمن علم القرآن) فالفعل علم نصب مفعولا واحدا والمعنى يوضح أنه نصب أكثر من مفعول واحد ، فالمنوط به التعلم محذوف لأنه مفهوم ضمنا واستؤنس بالفعل علم ليدل على معناه · وكذلك فى قوله تعالى : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) فالفعل يعطى يتعدى الى مفعولين ، ومع هذا فان حذف المفعول الثانى أعطى دلالة غير محددة لما يعطيه الله سبحانه وتعالى لنبيه المصطفى ، فحذف المفعول الثانى وسع دلالة المفعولية والفعل أعطى نبه الى المعطى ·

ويمكن دراسة المفاعيل الخمسة مرتبطة بالحدث وليست منفصلة عنه · والمفاعيل الخمسة هى :

المفعول به والمفعول المطلق والمفعول لأجله والمفعول معه والمفعول فيه وكلها مرتبطة بالحدث وارتباطها بالحدث على النحو الآتى :

(أ) وقوع الحدث بصورة مباشرة : مفعول به · نحو : قرأت القرآن ·

(ب) سبب حدوث الحدث · نحو : قرأت القرآن تعبدا ·

(جـ) توكيد حدوث الحدث أى تكرار الحدث دون زمن لان الزمن موجود فى الفعل الأول أو عدد مرات حدوث الحدث ·

نحو : قرأت القرآن قراءة · وأصلها : قرأت القرآن قرأت ولست فى حاجة الى الزمن فى الفعل الثانى فجئنا بالمصدر المؤكد للفعل ·

وعلى نفس القياس : تقول : قرأت القرآن قراءتين ، وقرأت القرآن كثيرا ·

(د) مشاركة الحدث : وهو المفعول معه هذا الحدث ·

نحو : قرأت القرآن ومطلع الفجر ·

(هـ) زمان أو مكان حدوث الحدث · أى الزمان أو المكان المتحصل فيه الحدث ·

نحو : قرأت القرآن عشاء فى المسجد ·

من خلال هذه العلاقة بين الحدث وكل مفعول نربط العلاقة الحقيقية ومن ثم ترتبط المفاعيل وتتفق فى علاقتها بالحدث وترتبط فى حكمها الاعرابى وترتبط فىكونها زيادة عن حدى الاسناد وتختلف حسب علاقتها بالحدث ·

ويمكن توضيحها بالشكل الآتى :



هذا الشكل نبين من خلاله علاقة المفاعيل بالحدث بما يفيد الوحدة الموضوعية بين المفاعيل الخمسة ومن ثم تدرس متفقة فى علاقتها بالحدث ومجيئها بعد تمام الاسناد وفى الحكم الاعرابى ومختلفة فى نوع العلاقة بالحدث حتى يقف طالب القاعدة النحوية على العلاقات الكلية التى تربط المفاعيل والاختلافات الجزئية بينها ·

ومن هذا المنطلق يمكن الوقوف على أساليب العرب فى الكلام ، وينبغى ألا نقف عند الجزئيات الا بالقدر الذى يحقق فهم واستيعاب الكليات · والكليات تكشف المعانى والدلالات ومن هذا المنطلق ندخل الى أسلوب النداء ·

لامراء فى أن النحاة انتهوا الى أن المنادى مفعول ،وأن المنادى (بكسر الدال) الفاعل مستتر فى الكلام وأن العرب أرادت أن تصوت على المنادى (بفتح الدال) المفعول فاختارت صوتا خفيفا بديلا عن الفعل أدعو أو أنادى على سبيل التشبيه ·

وقد ذهب سيبويه وسائر البصريين الى أن المنادى بمنزلة المفعول به وجعلوا الأصل فى كل منادى النصب ، والنصب بتقدير أدعو أو أنادى ، ويقول السيرافى :

« ولا أحب تحقيق هذا ولا القول به الا على جهة التقريب والتمثيل لأنهم قد أجمعوا أن النداء ليس بخبر وقولنا أدعو وأنادى أخبار عن نفسك . » (١)

ويرى السيرافى أنه لما احتاج المنادى الى عطف الاسم المنادى على نفسه واستدعائه اياه ليقبل عليه فيخاطبه بالذى يريد احتاج الى حرف يصله باسمه ليكون تصويتا به وتنبيها له وهو يا وأخواتها ، وهو شىء يحرك به المنادى . فصار المنادى كالمفعول بتحريك المنادى له وتصويته والمنادى كالفاعل ولا لفظ له وصار بمنزلة الفعل الذى يذكره فيصله بمفعول ظاهر وفاعل مضمر مقدر ، فهذا يستحقه المنادى فى الأصل . (٢)

أبـواب : كان وأخواتها

أخوات ليس : أفعال المقاربة

ومن أمثلة اضطراب المنهج نلاحظ هذا التشتت والتباعد بين أبواب كان وأخواتها ، ففى كتب النحو نجدها ممنهجة على نحو يفصل بينها ، فثم باب كان وأخواتها ، ثم تأتى الحروف المشبهة بليس وهى ما ولا ولات وان وهذه الحروف تعمل عمل كان فترفع المبتدأ وتنصب الخبر ثم تأتى أفعال المقاربة وهى تعمل عمل كان فى رفع المبتدأ ونصب الخبر .

---

(١) شرح السيرافى ق ٦٠ مجلد ٣ .

(٢) نفسه ق ٦٠ مجلد ٣ .

أليس من الأجدر أن تدخل فى باب واحد بدلا من هذا التشتت ؟ خاصة أن عملها واحد ، صحيح هناك فروق فى المعانى ، ولكن هذه الفروق سوف نجدها فى كان وأمسى أو أية واحدة من أخواتها ، كما أن هناك فروقا فى نوع الخبر فى أفعال المقاربة ، ولكن لا يعنى هذا أن نفصلها جميعا فى هذا الشتات المبعثر فى كتب النحو .

ومن ثم نستطيع أن نجعل هذا بابا واحدا على النحو الآتى:

باب النواسخ المؤثرة فى الجملة الاسمية :

(ا) كان – ظل – بات – أضحى – أصبح – أمسى – صار – ليس – زال – برح – فتىء – انفك – دام .

(ب) ما ولا ولات وان . المشبهات بليس .

على أساس أن العرب يجرون الشىء مجرى نقيضه كما يقول سيبويه ؛ فيعملون قاعدة المثبت لقاعدة المنفى ، تقول أكتب فترفع الفعل ولا أكتب فترفعه أيضا على الرغم من كونهما متناقضين ، وتقول اخرج وتقول لاتخرج فيكون الأمر والنهى فى حكم واحد وهو البناء على السكون هنا ، وكذلك تقول : كان محمد قائما وتقول ليس محمد قائما ، وكذلك تعمل أمسى عمل أصبح .

(جـ) أفعال المقاربة :

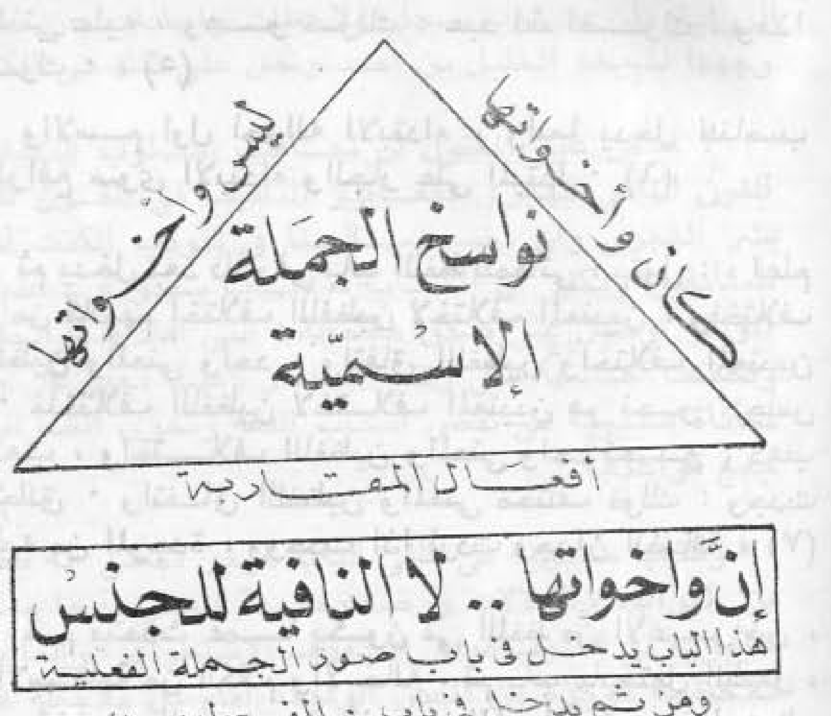
ويقسمها النحويون ثلاثة أقسام :

أحدها : مادل على المقاربة ، وهى : كاد ، وكرب ، وأوشك .

والثانى : مادل على الرجاء ، وهى عسى وحرى واخلولق

والثالث : مادل على الانشاء وهى جعل وطفق وأخذ وعلق وأنشأ (٣) وكلها درجات فى الفعلية أو تقارب الحدث ومن ثم كان دخولها فى باب « كان » التى هى للماضى المطلق

(٣) انظر شرح ابن عقيل ١/٣٢٣ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .



ولعل من أسباب اضطراب المنهج فى النحو العربى انعدام ترابطه ترابطا منطقيا يتفق وطبيعة العربية التى يقعدها هذا العلم ، فاذا رجعنا الى كتاب سيبويه وجدنا اضطرابا فى الأبواب ، صحيح انه بدأ البداية التى تتفق مع من يتصدى لوضع القواعد النحوية فى اطارها الصحيح فبدأ بباب علم ما الكلم من العربية ليصل الى تقسيم الكلمة الى اسم وفعل وحرف ، ثم يدخل فى باب مجارى أواخر الكلم من العربية ليفرق بين علامات الاعراب والبناء وهى تجرى على ثمانية مجار : « النصب والجر والرفع والجزم والفتح والضم والكسر والوقف » (٤) ثم يدخل فى باب المسند والمسند اليه : « وهما مالا يغنى واحد منهما عن الآخر ، ولا يجد المتكلم منه بدا ، فمن ذلك الاسم المبتدأ

(٤) الكتا ب١/١٣ تحقيق هارون .

والمدنى عليه ، وهـــو قـولك : عبد الله أخــوك ، وهذا اخـوك · » (٥)

والاســم أول أحواله الابتداء ، وانما يدخل الناصب والرافع سوى الابتداء والجار على المبتدأ · (٦)

ثم يدخل بعد ذلك فى باب اللفظ للمعانى ، يقول : « اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ·· فاختلاف اللفظين لاختـلاف المعنيين هو نحـو : جلس وذهب ، واختـلاف اللفظين والمعنى واحد نحـو : ذهب وانطلق · واتفـاق اللفظين والمعنى مختلف قولك : وجدت عليه من الموجدة ، ووجدت اذا أردت وجدان الضالة » (٧)

ثم يتحدث عمـا يكـون فى اللفظ من الأعـراض ، والاستقامة من الكلام والا حالة ، ثم باب مايحتمل الشعر ، ثم يأخذ فى الحديث عن الفـاعل الذى لم يتعده فعلـه الى مفعول والمفعول الذى لميتعد اليه فعل فاعل، ولميتعده فعله الى مفعول آخر · (٨)

واذا كان ثمة اضطراب فى الأبواب فان هذا لايؤخذ على سيبويه من ناحيتين :

١ ـ لم يكن فى حسبان المؤلف أن يؤلف كتابا فى النحو، وموضوع كتاب سيبويه معروف فى كتب النحـو ولا داعى لذكر ظروف التأليف ، ومعروف أيضـا أن الأخفش فيمـا ذكره الرواة احتفظ بالكتـاب وأظهـره كل مـن الجرمى والمازنى اللذين تتلمذا على الأخفش الأوسـط ، ومهما تكن

(٥) نفسه ١/٢٣ ·
(٦) نفسه ٢٣ ، ٢٤ ·
(٧) نفسه : ١/٢٤ ·
(٨) نفسه : ٢٦ ومابعدها ·

الرواية فان سيبويه سجل ملاحظات واجابات عن أسـئلة وجهها لشيخه الخليل بن احمد ونص على ذلك فى الكتاب·

٢ ـ من غير المعقول أن نحـاسب أسلوب التأليف فى القرن الثانى الهجرى بمعـايير التأليف فى القـرن الرابع عشر الهجرى وأن نضع أسـاليبنا فى تبويب الكتب أصولا للسابقين ويكفى أن الكتـاب ـ كتـاب سيبويه ـ علم على المؤلف ،ودليل على صدق ملاحظاته التى أفاد منها الخالفون وتحققت أصالتها حتى وقتنا الحاضر لأنهـا تعبر عن صدق معاناة سيبويه فى تقصى أسباب اللغة وتحرى الصواب فى جمع قواعدها ·

وكتاب سيبويه فى ظنى كتاب موجز بمعنى أنه يحمـل من القواعد والدلالات ووصف طبيعة العـربية ما سـطره سيبويه فى أسلوب موجز لا يعرف الاستطراد ، وانما سجل ملاحظات موجزة من الممكن الوقوف أمام كل ملاحظة منهـا بدراسة مطولة ·

وفى الكتاب دراساتصرفية ونحوية ولغوية ودراسات مرتبطة بعلم القراءات بالاضـافة الى الدراسة المهمة التى لخصها سيبويه عن لغة الشعر ، وكيف أن للشـاعر لغة ضرورة تسمح بها قواعد اللغة وليست ناشئة من فـراغ ، وانما هذه الضرورات تنبع من اتسـاع اللغة وعدم حجرها على التعبير المتدفق ·

والسؤال الذى يطرحه دائما دعاة التيسير ، هل يحتاج النحو الى اعادة تصنيفه ؟

يذهب أبو الفتح عثمان بن جنى الى أن النحو يأتى بعد التصريف والمفـروض أن يأتى التصـريف أولا ، الا أن صعوبة التصريف هى التى تدعو الى ذكره آخـرا فى كتب النحو ، لأن التصريف انما يتجه الى أنفس الكلمات المفردة،

والنحو يأتى بعد لأنه يعالج علاقة الكلمة بغيرها من الكلمات داخل الجملة المفيدة ·

ولعل هذا لايعد عذرا لمجىء التصريف آخرا ، أو فى طيات علم النحو ،ودراسة الكلمة المفردة المتصرفة ،وكذلك دراسة الحروف لاتقل أهمية عن دراسة الجملة ، فوحدة الجملة هى الكلمة والكلمة المتصرفة تتعدد معانيها وفق ما تتصرف اليه ، اسم فاعل أو اسم مفعول أو مصدر أو اسم مبالغة الى آخر صور تصريف الكلمة العربية ·

ولكن هل هذه البداية تعد البداية الموائمة التى تتفق ومعانى النحو ؟

لا جدال فى أن دراسة البنية مفردة يفيد فى دراسة الجملة ، ثم دراسة العلاقة بين كل كلمة والأخرى ، من ابتداء واخبار وفعلية وفاعلية ومفعولية فى كل صور الجملة العربية · ولكن فى يقينى أن دراسة النص هى الأجدى فى معرفة اللغة ، وسيلة من وسائل البيان والتبيين · لأن هذا المنهج فى الاستناد الى النص يوضح علاقات الكلم بعضه ببعض · ومعايشة النص تكشف عن الاستعمال الأمثل للغة ، وهذا خلاف ما يأتى به المعلمون من أمثلة تستهدف القاعدة لذاتها وليست اللغة قاعدة فحسب ، وانما اللغة الفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، وأساليب تختلف باختلاف المؤلف والموضوع المؤلف ؛ فمعايشة النص تكشف عن اللغة فى مجالها الصحيح ، وتفريغ القاعدة أسلوب تعليمى بالقدر الذى جعل المتلقى يعرف القاعدة وباعد بينه وبين معرفة اللغة ، ولم تمكن معرفة القاعدة الدراسين من السيطرة على اللغة ، لأنها لم تضف اليهم مجموعا من المتحصل اللفظى ولا استعمال الألفاظ فى محتواها الحقيقى ، لأن منهج التعليم ـ خاصة تعليم النحو ـ اتجه الى تفريغ القاعدة من المضمون ؛ فاذا كانت أمثلة

يمثل بها فهى أمثلة لاتعبر عن مستوى لغوى بالقدر الذى يؤكد استظهار القاعدة النحوية ·

وفى مناهج المعلمين وجدنا اضطرابا فى المناهج · يقول الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة محقق كتاب المقتضب للمبرد :

« لقد بذل النحويون جهدا رائعا ، وسلكوا طريقا شاقا مجهدا فى سبيل الظفر بهذه القواعد والاستدلال لها والدفاع عنها ، فكانت كتبهم ثمرة هذه الجهود الصادقة المخلصة ، ثم سلكوا فى كتبهم طرائق قددا · فلكل كتاب منهج فى التأليف · لو أراد المتخصص فى النحو والمتفرغ له أن يدرس موضوعا نحويا دراسة وافية لكلفه الرجوع الى كتب النحو فى جميع عصورها جهدا مضنيا ، وأضاع كثيرا من وقته فى سبيل التعرف على مسائل موضوعة فى هذه الكتب المختلفة المناهج ·

أما الفقهاء فقد سلكوا مع أختلاف مذاهبهم طريقا واحدا ، جمعوا مسائل كل باب على حدة ، ولم يشع فى كتبهم هذا الاستطراد الكثير الذى شاع فى كتب النحو » ·

ويضيف : وقد تعالت الصيحات وارتفعت الأصوات طالبة تيسير النحو ، وظن بعض الباحثين ـ وبعض الظن اثم ـ أن فى التعبير بالمسند والمسند اليه تيسيرا لعلم النحو ورفعا لأجره ؛ ووقع بعضهم على تعبير سيبويه بذلك فى الصفحة السابعة من الجزء الأول فظن أنه وجد ثمرة الغراب ·

ويقترح الشيخ عضيمة أن فهرسة كتب النحو فهرسة دقيقة وافية انما هى خطوة فى سبيل تيسير النحو ، أضف الى ذلك أن الحديث عن مسائل النحو يتجاوز كتب النحو الى كثير من كتب العلوم الأخرى ،ففى كتب اللغة نحو كثير،

وكذلك فى كتب الأمالى والمجالس والتفسير وعلوم القرآن واعرابه وأصول الفقه والسير ، كالروض الانف ، وكتب المعارضة العامة كبدائع الفوائد لابن القيم ، وكليات ابى البقاء وغير ذلك : (٩)

ولقد لجأ النحويون المعلمون الى أساليب قريبة من الالغاز استهدفوا بها تمكين القاعدة النحوية فى أذهان تلاميذهم . واستعانوا على ذلك بأمثلة لاتمثل اللغة فى محتواها الصحيح وانما هى افتراضات أشبه ماتكون بمسائل الجبر والحساب التى يستهدف بها معلمو الرياضيات تدريب العقول تدريبا نظريا تمكن العقل من القدرة على الاحصاء .

وكان بعض النحويين مولعا بالغريب ، ومن هؤلاء أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الذى أخذ النحو عن سيبويه وصاحبه ودرس على شيوخ سيبويه كذلك (ت ٢٢١هـ)

ويبدو أن عناية الأخفش بالغريب كانت مرتبطة بأسلوبه فى التكسب بوصفه واحدا من المعلمين ، فقد كان يغرب ليكسب مزيدا من المال كما أشار الجاحظ فى كتابه الحيوان ، ويبدو أن مارواه الجاحظ استند اليه بروكلمان فى قوله : « وقيل ان الأخفش كان شديد البخل ، فأبهم كثيرا من مصنفاته ليضطر الناس الى تعلمها عليها لقاء أجر » (١٠)

ولقد ضربت أساليب المعلمين أطنابها عند الكثير من النحاة ويبدو أنهم أخذوا من شيوخ النحاة ، فسيبويه على

---

(٩) انظر المقتضب للمبرد ٢/٤ .

(١٠) تاريخ الأدب العربى ٢/١٥٢ .

سبيل المثال يريد أن يمكن القاعدة الخاصة بالممنوع من التصريف أو التنوين فيقول :

« وان سميت رجلا ببنت أو أخت صرفته ، لأنك بنيت الاسم على هذه التاء وألحقتها ببنات الثلاثة كما ألحقوا سنبتة بالأربعة ، ولو كانت كالهاء لما أسكنوا الحرف الذى قبلها ، انما هذه التاء فيها كتاء عفريت . ولو كانت كألف التأنيث لم ينصرف فى النكرة وليست كالهاء كما ذكرت لك وانما هذه زيادة فى الاسم بنى عليها وانصرف فى المعرفة . ولو أن الهاء التى فى دجاجة كهذه التاء انصرف فى المعرفة . » (١١)

والتصريف عند سيبويه هو « أن تبنى من الكلمة بناء لم تبنه العرب على وزن مابنته ثم تعمل فى البناء الذى بنيته ما يقتضيه قياس كلامهم » . (١٢)

تقول الدكتورة خديجة الحديثى : « يطلق سيبويه التصريف على التمرين والرياضة . » (١٣)

ويقول أحمد أمين رحمه الله : « ان الطريقة التعليمية التى جرى عليها النحويون والصرفيون جعلتهم يجرون فى ذلك الى حد بعيد ، فيقولون : كيف تصيغ من الضرب على وزن صمحمح فتقول ضربرب ومن القتل قتلتل » (١٤)

ويبدو أن الخليل بن أحمد الفراهيدى هو الذى وضع هذه الأساليب فى تعليم القاعدة النحوية ، فهو أحيانا يشبه شيئا بشىء ، تقريبا للقاعدة وتثبيتا لها ، فالمنادى مثل قبل

---

(١١) الكتاب ٣/٢٢١هـ .

(١٢) نفسه .

(١٣) أبنية الصرف فى كتاب سيبوية . بغداد .

(١٤) ضحى الاسلام ٢/٢٧٨ .

وبعد ، وقبل وبعد مبنيان اذا أفردا عن الاضافة واذا أضيفا اعربا وهكذا النداء · (١٥)

ونجد سيبويه كثير النقل من هذا الأسلوب الذى يشبه فيه شيئا بشيء ، يقول :

« ان سميت رجلا بأحمر فان شئت قلت أحمرون ، وان شئت كسرته فقلت : الأحامر ، ولا تقول : الحمر لأنه الآن اسم وليس بصفة ، كما تجمع الأرانب والأرامل ، كما قلت أداهم حين تكلمت بالأدهم كما يكلم بأسماء ، وكما قلت الأباطح · » (١٦)

ويقول : « وان سميت امرأة بأحمر فان شئت قلت : أحمرات ، وان شئت كسرته ، كما تكسر الأسماء فقلت : الأحامر · » (١٧)

ومن أمثلة الخليل التى يقرب بها القاعدة : « ان سميت رجلا بورقاء فلم تجمعه بالواو والنون وكسرته ، فعلت به مافعلت بالصلفاء اذا جمعت ، وذلك قولك : صلاف ، وخبراء وخبار وحمراء وحمار ، فورقاء تحول اسما كهذه الأشياء · » (١٨)

ويقول سيبويه : « وسألته عن رجل يسمى بابن فقال : ان جمعت بالواو والنون قلت : بنون كما قلت قبل ذلك ، وان شئت كسرت فقلت : أبناء » (١٩)

ويقول سيبويه : « وسألته عن امرأة تسمى بأم : فجمعها بالتاء وقال : أمهات ، وأمات فى لغة من قال : أمات

---

(١٥) الكتاب ٢/١٨٣ ·

(١٦) الكتاب ٣/٣٩٨ هـ ·

(١٧) نفسه ·

(١٨) الكتاب ١٣/٣٩٨ هـ ·

(١٩) نفسه ١٣/٤٠٠ هـ ·

لايجاوز ذلك كما أنك لو سميت رجلا بأب ثم ثنيته لقلت : أبوان لاتجاوز ذلك » (٢٠)

ويؤكد هذا الأسلوب التعليمى بقوله : « ولو سميت رجلا بامرىء لقلت : امرءون · وان شئت كسرته كما كسرت ابنا واسما وأشباهه · ولو سميته بشاة لم تجمع بالتاء ، ولم تقل الاشياه ، لأن هذا الاسم قد جمعته العرب فلم تجمعه بالتاء ، ولو سميت رجلا بضرب لقلت ضربون وضروب، لأنه قد صار اسما بمنزلة عمرو ،وهم قد يجمعون المصادر فيقولون : أمراض وأشغال وعقول ، فاذا صار اسما فهو أجدر أن يجمع بتكسير · » (٢١)

ويقول سيبويه : « وسألت الخليل عن أب فقال : ان ألحقت به النون والزيادة التى قبلها قلت : أبوان · وكذلك أخ تقول : أخون ، لاتغير التاء · الا أن تحدث العرب شيئا، كما تقول : دمون » (٢٢)

هذا الأسلوب الذىلجأ اليه الخليل وتابعه فيه الخالفون استهدف به تمكين القاعدة فى عقول المتلقين ، ومقارنة هذه القاعدة بما يماثلها من قواعد تتفق معها فى بعض أوجه الاتفاق ، وهذا الأسلوب فى التفريغ للقاعدة النحوية بعيدا عن التعبير اللغوى بالقدر الذى يقوى فيه المتلقى فى قواعد العربية يحبس قدرات المتلقى فى التدفق والمقدرة على التعبيو الجمالى ·

وأحيانا يتحول أسلوب النحويين من المعلمين الى نوع من المباراة العقلية بينهم وبين من يناظرونه ، فقد استطاع على بن حمزة الكسائى فيما ينقل الرواة أن يفيد من الفقه

---

(٢٠) نفسه ١٣/٤٠٠ هـ ·

(٢١) نفسه ١٣/٤٠٠هـ ·

(٢٢) ٣/٤٠٥ ·

ويجعل الفقيه يفيد من النحو ، من ذلك مجلس الكسائى مع ابى يوسف فى حضرة الرشيد حين سأل الكسائى صاحبه فقال : « ماتقول فى رجل قال لامرأته : أنت طالق ان دخلت الدار ؟ فقال أبو يوسف : ان دخلت فقد طلقت · فقال الكسائى : خطأ اذا فتحت أن فقد وجب الأمر ، واذا كسرت فانه لم يقع بعد · » (٢٣)

وأحيانا يتجه أسلوب المعلمين فى النحو الى محاولة استفراغ وسع النص بمعنى محاولة استنباط كل ما يمكن استنباطه من قواعد نحوية قائمة على معانى النص ، وفى ظنى أن هذا الأسلوب من المعلمين يوسع المعانى ويتيح الفرصة أمام المتلقى لأن يكشف عن محتوى النص ومايمكن أن يشتمل عليه من المعانى ·

يقف بنا الفراء على ما يمكن أن يتحمله النص من تفسيرات نحوية ، يقول مفسرا قوله تعالى : « ويضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا · وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين »(٢٤)

يقول الفراء : « أتينا بها · ذهب الى الحبة ، ولو كان أتينا به كان صوابا لتذكير المثقال · ولو رفع المثقال كما قال : (وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة) كان صوابا، وقرأ مجاهد : « آتينا بها » بمد الألف يريد : جازينا بها على فاعلنا · وهو وجه حسن · » (٢٥)

ومن أساليب المعلمين فى التركيز على القاعدة النحوية المعارضة التى يقوم بها النحاة لمن سبقوهم ؛ وهذا المبدأ

(٢٣) طبقات الزبيدى ١٣٨ ومعجم الأدباء ١٣/١٧٥ ومجالس العلماء للزجاجى المجلس ١٢١ ص ٢٥٧ ·

(٢٤) آية ٤٧ الأنبياء ·

(٢٥) معانى القرآن ٣/٢٠٥ ·

فى المخالفة يكشف الرأى وما يخلفه فيبرز أمام المتلقى جهتى المسألة ·

ومن هؤلاء المعلمين أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ) يقول : « كان الخليل يقول لا ينتصب فعل البتة الا بأن مضمرة أو مظهرة ؛ وليس القول كما قال · » (٢٦)
ويقول المبرد : « كان الخليل يقول ان أن بعد اذن مضمرة وكذلك لن وانما هى لا أن ولكنك حذفت الألف من لا والهمزة من (أن) وجعلتهما حرفا واحدا ، وليس القول عندى كما قال ، وذلك أنك تقول : زيدا لن أضرب ؛ كما تقول : زيدا سأضرب ، فلو كان هذا كما قال الخليل لفسد هذا الكلام ، لأن زيدا كان ينتصب بما فى صلة أن ولكن لن حرف بمنزلة أن · » (٢٧)

وحذا المبرد حذو شيوخه من البصريين فى اتخاذ أسلوب المعلمين لتمكين القاعدة فى عقول تلاميذهم واتجه الى هذه النماذج التجريدية التى تشبه نوعا من الرياضة العقلية بهدف التدريب ، وهذا الأسلوب التعليمى استهدف به المبرد سوق الأمثلة النظرية ، لايستهدف دلالتها أو معناها بقدر ما يستهدف دوران القاعدة واطرادها ، فهى تمارين تذكرنا بتمارين الجبر التى تقوم على لغة الحروف والأرقام مستهدفة تدريب العقل وتمرينه فى ممارسة هذا النوع من الرياضة العقلية ·

يقول المبرد : « اذا سميت رجلا لتقم أو لم يقم أو ان تقم أقم فالحكاية ، لأنه عامل ومعمول فيه اذا جئت بالعامل معه ، وان سميته (أقم) أو يقم وليس معهما لم أعربت فقلت : هذا أقوم فاعلم ، وهذا تقوم فاعلم ؛ ورأيت تقوم

(٢٦) المقتضب ٢/٨ ·

(٢٧) نفسه ٢/٨ ·

فاعلم • لأنه ليس فيه فاعل ورددت الواو لأنهــا حذفت فى الفعل لالتقاء الساكنين فلما تحركت رجعت ، وان سميته قم أو بع قلت هذا قوم على وزن فعل وهذا بيع على وزن ديك لأن الأسماء لاتجزم واذا تحركت أواخــرها رد على ماحذف لالتقاء الساكنين ، وان سميته أقم قلت هذا أقــم قد جــاء لاتصرفه للزيادة التى فى أوله وان سميت زيدا حكيته فان حذفت زيدا وسميته بالفعل وحده قلت : هذا رأى مثل قفــا وعصا ترد الهمزة وهى عن الفعل وترد الألف لأن الاســماء لا تنجزم • » (٢٨)

الا أن المبرد قد غالى كثيرا فى هذا الأسلوب الذى يريد به تقريب القاعدة ، وكتاب المقتضب يزخر بهذا النــوع من الأســلوب (٢٩) •

ويلجأ المبــــرد الى مايمكن أن نســـميه بالالغاز على المتعلمين فهــو المعلم وهو يريد أن يمتحن تلاميذه ويكفى أن تقرأ المقتضب للمبرد لتدرك مدى مايعده لتلاميذه من مسائل يمتحن بها المتعلمون ، وهــذه المسائل لاتكشف عن تعبير يأخذ صاحبه بطواعية اللغة وانسيابها بقدر مايتجه الى الالغاز والتعمية وابعاد العامل عن المعمول وتداخل العوامل والمعمولات ليوقظ أذهان المتعلمين فى الوصــول مثـلا الى الفاعل البعيد جدا عن معله والمفعــول المتقدم جدا عن فاعله ومجموعة أخرى من الصــفات والتوابع الاخرى مع مجموعة من الاضافات حتى يمتحن بها المبرد المتعلمين • فى كتــابه المقتضب نرى أمثلة تجرى على النحو الآتى :

---

(٢٨) المقتضب ٤/٣٢ •

(٢٩) انظر فى الجزء الرابع من المقتضب الأبواب : ما يحكى من الأسماء ، مايعرب ، باب الألقاب ، باب الاسمين اللذين يجعــلان اسما واحدا وباب تسمية الرجال بالتثنية والجمع ••

« **ونقول فى مسائل طوال يمتحن بها المتعلمون (٣٠) •**
علم المدخل المدخله السجن زيد أخوه غلامه المظنون الآخــذ دراهمه زيد •

نصبت المدخلة بالمدخل •

ونصبت السجن لأنه مفعول •

ورفعت زيدا بأنه أدخله •

ورفعت أخاه بالابتداء •

وجعلت غلامه خبره • وهما جميعــا فى موضع المفعول الثانى لعلم والمظنون صفة للغلام وفيه ضــــميره ، والآخذ المفعول الثانى لمظنون وهو منصوب ، وزيد هو الفاعل الذى أخذ ، والدراهم منصوبة بالآخذ (!) •

تلك كانت بعض الامثــــلة من أســـاليب المعلمين فى الرياضة العقلية لامتحان قدرات الطــالب على معرفة كيفية الاعراب الذى هو أصلا افصاح وابانة عن المعانى بالالفــاظ كما حده أبو الفتح عثمان بن جنى •

وساعدت أســاليب المعلمين على التوقف عن التعديد • فكتب النحو تتناول القاعدة على سبيل الاحصــاء وتضرب لذلك أمثلة دون التوقف عند التذوق أو اســــتنباط مواضع الجمال فى النص ؛ وتركوا ذلك للبلاغيين ، فأمست اللغــة متنازعة بين اللغويين والنحاة والبلاغيين بما لم يحقق نموا واطرادا للتعبير اللغوى الدال الذى يعبر عن صاحبه التعبير الصحيح ، وكانت مناهج المعلمين تدور فى فلك الامثلة دون تعمقها أو الوقوف عند معرفة القاعدة من خلال النصــــوص

---

(٣٠) المقتضب ٤/٥٩ •

المعبرة الدالة فى القرآن الكريم والحديث الشريف وفيما قاله السلف الصالح وما تركه الشعراء من دواوين .

وأمسى الذى يتصدى للتعبيراللغوى عن موضوع مايخشى سيف النحويين المصلت على الرقاب حتى لا يقع فى لحن أو يضطرب فى القاعدة النحوية ، الامر الذى أصاب المتعلمين بتلعثم لم تقصده اللغة التى عبر بها أصحابها وعبرت عنهم تعبيرا يشهد عليه ما تركوه لنا من آثار .

وحسب التلميذ فى مدارس التعليم العام أن يقف على ان وأخواتها ، وكان وأخواتها ، وكأن القاعدة قد تحولت الى تشعبات قبلية ، وفى أسئلة التقويم أو الامتحانات تأتى الأسئلة لا يهدف بها لغة التلميذ ولا سبر أغوار التعبير ولا تبحث عن قدرات التذوق عنده ولاتقف به عند لغتنا الجميلة اليسيرة التى كان بيانها للناس سحرا ، تأتى الأسئلة لتقول للتلميذ : استخرج فعلا ناسخا وحرفا ناسخا ، بين اسما لفعل ناسخ وآخر لحرف ناسخ ، استخرج جمعين مختلفين .

ولن تتعب فى التحقيق من هذا الرأى المعبر عن الواقع اذا راجعت أسئلة امتحانات اللغة العربية فى مدارس التعليم العام، وحتى موضوعات التعبير فقدت طلاوتها لأنها لم تتح للتلميذ حرية التعبير عما يحسن وانما قيدت تعبير التلميذ بما يريده مدرس اللغة العربية الذى ينوء بأحمال ومشكلات تصويب الاخطاء بطريقة تكده ولا تفيد التلاميذ كثيرا فى مراعاة الصواب والخطأ فالمعلم يسعى الى الوقوف على الخطأ الاملائى والخطأ المتعلق بتطبيق القاعدة النحوية ولا يكاد يوغل فى أخطاء التعبير التى تتيح الفرصة للتلاميذ الافصاح والابانة .

وموضوعات التعبير موضوعات فى الاغلب الاعم بعيدة عن اهتمام التلاميذ ، وتحول التلاميذ الى أصحاب عبارات تقليدية ممجوجة خلت من سحر البيان .

ومن ثم حارت اللغة العربية فى خضم من المشكلات المرتبطة بالمنهج الدراسى والكتاب المدرسى .

ونقلت الينا كتب النحو صور الجدال الذى كان بين النحويين ، والفت المجالس ، مجالس العلماء وألف أبو البركات الأنبارى كتاب الاغراب فى جدل الاعراب ولمع الادلة وألف ابن الانبارى كتابه الانصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين . وهذا الجدل كشف عن محصلة مفيدة أثرت القاعدة النحوية وكشف عن قدرات العقل العربى على الاستنباط والمناظرة ، ولم ينفرد النحو العربى بأساليبه فى الجدل والمناقشة وانما عرفت هذه الاساليب الجدلية فى الفقه .

وكان الجدل وليد تأثير الثقافة الواردة الى اللسان العربى ، فقد تأثر النحويون بالجدل الارسطى وبالاسلوب السوفسطائى ، وأغرموا بعلم الكلام ، فكانوا يواجهون خصم الرأى بالحجة ، وزخرت كتب النحو بآراء مختلفة ، اتضحت عند الكوفيين فى معارضتهم البصريين فى كثير من قضايا النحو .

فقد عرف عن الفراء على سبيل المثال أنه كان يفرى الكلام فريا وأنه كان من المتكلمين الذين يعرفون أساليب الجدل ويقرعون الحجة بالحجة ويقضون على الدليل بالبينة

يقول ياقوت عن الفراء انه : « يميل الى الاعتزال وكان يتفلسف فى تصانيفه ويستعمل فيها ألفاظ الفلاسفة » (٣١)

ومن نماذج الجدل الذى كشف عن الاختلاف بين آراء المدرستين الكوفية والبصرية فى الاصول :

---

(٣١) معجم الأدباء ٧/٢٧٦ .

قال الزجاجي : « قال الفراء وجميع الكوفيين المصدر مأخوذ من الفعل ، والفعل سابق له وهو ثان بعده وذلك خلافا للبصريين الذين ذهبوا الى أن الفعل مشتق من المصدر وفرع عليه . » (٣٢)

ويرى الفراء خلافا للبصريين أن الأفعال تستحق الاعراب كالأسماء ويرى البصريون أن الاعرا بأصل فى الأسماء وأن البناء أصل فى الأفعال .

قال الزجاجي : « قال الفراء ومن تابعه وانتحل مذهبهم وناضل عنهم : أما ما احتججتم به للاسماء واستحقاقها للاعراب باختلاف المعانى التى ذكرتم فصحيح وبه نقول : وبمثله ندلكم على أن الأفعال أيضا فى الأصل مستحقة للاعراب كالاسماء . وذلك لما يدخلها من المعانى المختلفة ، ولوقوعها على الأوقات الطويلة المتصلة المدة فكان قولنا (يقوم زيد) يحتمل معنى قائم وتأويل سوف يقوم على الاستقبال ، فاشبهت الأفعال المستقبلة الأسماء لاختلاف معانيها التى يلزمها التصريف من أجلها ، كما قالوا : فلان يطيع الله ، فأمكن أن تقع (يطيع) على زمان متصل ، ويطول الى انقضاء الفاعل . وقالوا : هو يحرص على ما نفعه . فيقرن بوقت يجوز ألا ينقضى الا بانقضاء الفاعل ، فهو من هذه الجهة كالاسم الذى يلزم المثنى ولا يزايله فكان مستحقا للاعراب من هذه الجهة كما تستحقه الاسماء . » (٣٣) .

والكوفيون يقسمون الفعل الى ماض ومضارع ودائم ويقصدون بالفعل الدائم اسم الفاعل وهم بهذا يخالفون البصريين الذين ذهبوا الى تقسيم الفعل الى الماضى والمضارع والأمر .

---

(٣٢) الايضاح فى علل النحو ٥٦ .

(٣٣) الايضاح فى علل النحو ص ٨٠ .

والخلافات النحوية بدأت مع بدايات المدرسة البصرية، فقد اختلف شيوخ المدرسة الواحدة ، حتى اننا نرى فى كتاب سيبويه خلافات بينه وبين شيخه الخليل ، وكان الأخفش الأوسط كثير الخلاف على البصريين وهو واحد من أئمتهم وكثر خلاف أبى العباس المبرد لسيبويه ، ومعروف أنه ألف كتابا زمن الحداثة عارض فيه سيبويه وسماه مسائل الغلط، وخالف على بن حمزة الكسائى سيبويه وخالف ثعلب سيبويه كذلك ، واتجه النحو العربى فى شعاب كثيرة من الخلافات ، وهذه الخلافات وان ظهرت من ناحية محدودة القيمة فهى من ناحية أخرى تكشف عن قدرات العقل العربى فى التصدى للظاهرة النحوية ومدى ما يمكن أن تعكسه من آراء .

ولعل الخلافات النحوية بدأت هادئة منذ بداية المدرسة البصرية ، وكانت بين أعلام البصرين أنفسهم ، وقد بدأت هذه الخلافات تتسم بالموضوعية فى عرض الظواهر النحوية دون تعصب ، وانما يقيمها صاحبها على أسس موضوعية ويحاول التعليل لها ومن أبرز ما يمثل هذا النوع من الخلاف ما قام بين سيبويه والخليل بن أحمد .

ثم تحولت هذه الخلافات الى مدى أوسع بين الأخفش وشيوخ البصريين ثم ما لبثت هذه الخلافات أن تحولت الى مناهج تفكير فى النحو العربى وهو ما صدر عن خلاف فى المدارس والمذاهب بين الكوفيين والبصريين ، ثم بين المدارس الأخرى ، وأساس هذه الخلافات أن كل مدرسة اعتمدت على أصول بعينها كما رأينا فى اختلاف الكوفيين مع البصريين فى أصل الكلمة هل هى الفعل أم المصدر مع الاتساع الجدلى فى كل من الاتجاهين ، فالبصريون يرون فى الأصل الأيسر والكوفيون يرون فى الأصل أن يحمل معنى الفرع وزيادة ومن ثم قالوا ان الفعل هو الأصل لأنه يشتمل على المصدر وزيادة ، فالفعل حدث وزمن والمصدر حدث دون زمن . والكوفيون يختلفون مع البصريين فى تقسيم الفعل فهم يرون أنه فعل

ماض ومضارع ودائم ولا يعترفون بفعل الأمر الذى هو عندهم مضارع حذفت منه لام الأمر مع كثرة الاستعمال فقل عندهم أصلها لتقل وحذفت اللام · والبصريون يقسمون الفعل الى ماض ومضارع وأمر ·

والكوفيون يختلفون فى المصطلحات النحوية فالتمييز عند البصريين تبيين عند الكوفيين والحال عندهم القطع والضمائر ترجمة الى آخر خلافاتهم في المصطلحات مع البصريين ·

وتعد بعض هذه الخلافات جوهرية لأنها مرتبطة بمنهج كل مدرسة فى الظواهر النحوية ·

واذا بحثنا أصول الخلاف فسوف نجدها قائمة على أسباب منها :

خلاف اللهجات :

من الظواهر الواضحة فى الخلاف بين النحويين ظاهرة الخلاف التى نشأت مع اختلاف اللهجات ، وهذا الخلاف مثمر ، لأنه كشف عن تعدد صور الاعراب فى المثال الواحد · كما كشف عن ثراء العربية ، من ذلك مثلا لهجة بنى تميم ولهجة الحجازيين فى ما ، ففى لهجة بنى تميم نقول : ما زيد قائم برفع خبر ما ، وفى لهجة الحجازيين نقول : ما زيد موجودا بنصب خبر ما ، وفى القرآن الكريم : « ما هذا بشرا » و « ما هن أمهاتهم » ولعل هذا التعدد فى اللهجات يفسح للتقليل من الخطأ طالما أن الرفع والنصب للخبر قائمان على أصول صحيحة من اللهجات العربية ·

والعربية لغة غنية ، وتعدد اللهجات فتح المجال واسعا لاستيعاب الكثير من القواعد النحوية ،وجعل هذه القواعد طيعة ومرنة ، ففى اللهجات نجد من يلزم المثنى الألف وفى

بعضها الآخر نجد المثنى مرفوعا وعلامة رفعه الألف ومنصوبا ومجرورا والعلامة فى الحالتين الياء ·

واذا كان بعض النحاة قد ذهب الى قول الشاعر :

ان أباها وأبا أباها قد بلغا فى المجد غايتاها

الى أنه شذوذ أو ندرة فالقياس القول وأبا أبيها والقول قد بلغا غايتيها فجعل واحدا من الاسماء الستة المضاف اليه مطلق الألف وجعل المثنى مطلق الألف ، لأن بعض القبائل الحجازية تميل الى التخفيف ·

وهذا الخلاف مفيد لأنه يفتح الباب أمام مرونة اللغة ولا يجعل قواعد اللغة سوط عذاب لطلاب قواعد العربية ، وانما يتسع لاتجاهات مختلفة عملا بقول الشاعر الصعلوك :

اذا سد منه منخر جاش منخر ·

وفى لهجة أزد شنوءة يجمعون بين واو الجمع والفاعل فتقول على هذه اللهجة : ظلمونى الناس أو كما ورد فى أمثلة النحويين : أكلونى البراغيث ·

وللنحاة فى هذا مذهبان ، أولهما أن الواو فاعل والبراغيث بدل وآخرهما أن الواو علامة على الجمع تماثل تاء التأنيث التى هى علامة عليه ، والبراغيث فاعل وهذا على سبيل الاتساع ·

ولقد سبق أن قلنا ان مثل هذه اللهجات قد فتحت بابا متسعا فى التعامل مع اللغة لا يكشف عن ضيق وتعصب وانما يفتح المجال لتعدد أوجه الاعراب والابانة ·

خلاف لغة الشعر :

ولعل كثيرا من الخلاف الذى نشأ فى القاعدة النحوية

بين النحاة انما يرجع مصدره الى لغة الشعر ، والشعر له قواعده ، كما أن له اتساعا فى القاعدة ٠

يقول ابن جنى : متى رأيت الشاعر قد ارتكب الضرورات على قبحها ، وانخراق الأصول بها ، فاعلم أن ذلك على ما جشمه منه وان دل من وجه على جوره وتعسفه ، فانه من وجه آخر مؤذن بصياله وتخمطه(٢٤) وليس بقاطع دليل على ضعف لغته ، ولا قصوره عن اختياره الوجه الناطق بفصاحته » (٣٥) ٠

وهناك من الشعراء من هو « مجرى الجموح بلا لجام ٠ ووارد الحرب الضروس حاسرا من غير احتشام ، فهو وان كان ملوما فى عنفه وتهالكه ، فانه مشهود لهبشجاعته وفيض سنته ، ألا تراه يجهل أن لو تكفر فى سلاحه ـ يعنى اعتصم ـ أو أعصم بلجام جواده ، لكان أقرب الى النجاة ، وأبعد عن الملحاة (يعنى اللوم) لكنه جشم ما جشمه على علمه بما يعقب اقتحام مثله ،ادلالا بقوة طبعه ، ودلالة على شهامة نفسه ٠ » (٣٦) ٠

وأحيانا تأتى رواية الأبيات من أوجه : فهذا بيت المخبل السعدى كما ينشده أبو عثمان وأبو العباس :

أتهجر ليلى للفراق حبيبها

وما كان نفسا بالفراق يطيب

فتقابله براوية الزجاجى واسماعيل بن نصر وأبى اسحاق أيضا :

وما كان نفسى بالفراق تطيب

---

(٣٤) تكبره ٠

(٣٥) الخصائص ٢/٣٩٢

(٣٦) الخصائص ٢/٣٦٢ ٠

ومثل هذا الاختلاف فى الرواية فجر خلافات فى الاعراب (٣٧) ٠

عقد سيبويه بابا لما يحتمله الشعر قال فيه :

« يجوز فى الشعر ما لا يجوز فى الكلام ، من صرف ما لا ينصرف يشبهونه بما ينصرف من الأسماء ، لأنها أسماء كما أنها أسماء ، وحذف مالا يحذف ، يشبهونه بما قد حذف واستعمل محذوفا ٠٠٠

وربما مدوا مثل مساجد ومنابر فيقولون مساجيد ومنابير ، شبهوه بما جمع على غير واحد فى الكلام كما قال الفرزدق :

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة

نفى الدنانير تنقاد الصياريف

وقد يبلغون بالمعتل الأصل فيقولون : رادد فى راد وضننوا فى ضنوا ٠

قال قعنب :

مهلا أعاذل قد جربت من خلقى

انى أجود لأقوام وان ضننوا

ومن العرب من يثقل الكلمة اذا وقف عليها ولا يثقلها فى الوصل ، فاذا كان فى الشعر فهم يجرونه فى الوصل على حالة فى الوقف نحو : سبسبا ، وكلكلا ، لأنهم قد يثقلونه فى الوقف فأثبتوه ٠

وكذلك نجد الزجاجى فى كتابه الجمل ذكر أن للشاعر أن قصر الممدود وله أن يظهر المدغم ويجوز له الحاق المعتل بالصحيح وحذف التنوين لالتقاء الساكنين وحذف

---

(٣٧) انظر الخصائص ٢/٣٨٤ ٠

(٣٨) الكتاب ١/٢٩ هـ ٠

الواو والياء اذا كان ما قبلهما دليلا عليهما ، وكانا زيادة فى مضمر ، ويجوز للشاعر تذكير المؤنث الغير الحقيقى ويجوز للشاعر تأنيث المذكر الذى ليس بحقيقى ، ويجوز له تشديد المخفف وتخفيف المشدد ويجوز له حذف الهمزة وتخفيفها وقلبها ياء وواوا وألفا وقطع ألف الوصل ويجوز للشاعر الحاق حركة الألف على ما قبلها ويجوز له ترخيم ما ليس بمنادى وحذف حرف النداء من الأسماء المبهمة والنكرة واسكان الياء والواو فى موضع النصب والنصب بالفاء فى غير الجواب وحذف الفاء من جواب الجزاء (الشرط) . وحذف الواو والياء من هاء الاضمار واسكانها بعد ذلك .

ولعل هذه اللغة الخاصة بالشعر دون الكلام المرسل تفسر كثيرا من أسباب النقد الذى وجهه النحويون الى بعض الشعراء ، مثلما حدث بين الحضرمى والفرزدق ، فالشاعر يطلق شعره بلغة الشعر والنحوى يفسر القاعدة من خلال الاصول الثابتة ما لم يقف على لغة الشعر .

من ثم ينبغى ألا نأخذ موقف النحويين فى تطبيق القاعدة على النص المرسل موافقة لموقف القاعدة من الشعر الموزون المقفى لاختلاف وسيلة التعبير ، لأن للشعر لغة وتيسيراته من اللغة نفسها التى تسمح للشاعر أن يكون أكثر انطلاقا ، ولا نقول بغير قيود وانما تتسع له اللغة وتتيح له من قواعدها ما لا تتيحه للنثر المرسل .

ومن أسباب الخلاف أن كثيرا من الشواهد ورد بأكثر من رواية ومن ثم وقف أمامها النحاة مختلفين ولو كان الشاهد مرويا برواية واحدة لسقط كثير من الخلاف النحوى الذى تزخر به كتب النحو والامثلة كثيرة منها :

اليوم فاشرب غير مستحقب ... أثما من الله ولا واغل

فقد اختلف النحاة فى رواية البيت: ذهب فيه سيبويه مذهبا وذهب فيه المبرد مذهبا ، وكذلك أبو الفتح بن جنى والفراء وابن قتيبة .

وبعد ، فاذا أردنا أن يأخذ النحو العربى مكانه فى هذا العصر فلا بد أن نأخذ بالأسباب ومنها ضرورة النهل من القرآن الكريم فهما وقراءة ودراسة وتقوية ملكة اللسان وملكة السمع والسمع أبو الملكات اللسانية وصدق الله العظيم : « ان السمع والبصر والفوائد كل أولئك كان عنه مسئولا » .

وكذلك علينا عدم تشتيت اللغة بتفريعها الى فروع وانما ينبغى العودة الى دراسة النص للوقوف على مواطن الجمال فيه .

الخـــاتمة

مازال النحو العربى يجد صداه فى خارج العالم العربى بوصفه علما له أصوله وفروعـــه ، وفى المقابل وجد النحو العربى كثيرا من المنكرين له داخل العالم العربى اللهم الا من محاولات متفرقة للدارسين المتخصصين تحاول فى ظاهرها تنقية النحو واحيائه وفى باطنها ومضمونها هى ثورة على النحو العربى الذى نال من دراســيه كثيرا من الحيف ولم ينل الانصاف الذى يستحقه ، ولقد عالجت هذه الدارســة فى نقد النحو العربى موضوعها فى بابين ، الباب الأول نقد القدماء والمحدثين ووقع هذا الباب فى فصلين الفصل الاول منهما نقد القدماء فتابع ما نقلته الدراسات الســلفية على سبيل الامتاع والمؤانسة ووقف بعض الاعراب من هذا العلم، وكيف أنهم كانوا يسخرون مما ابتدعه النحاة ومما سموه لحنا ، وقام نقد هؤلاء على أن الذين اســتعربوا أو طلبوا العربية من غير أهلها هؤلاء الموالى أسسوا نحوا ابتداعــا وليس قائما على السليقة العربية وهذا النحو لايمثل العربية وانما هو من وضع عقول غريبة على العربية لا تمثلها ولا تعرب عن حقيقتها وسمتها .

وكان أبرز ما وجه للنحو من نقد على لســان الجاحظ الذى وسم الأخفش الأوسط بالغموض فيما يكتبه من نحــو بغرض التكسب وذهبت الى أن رأى الجاحظ يمثل منهجه فى اللغــة ، منهج المعتزلة الذى يذهب الى التحـرر العقلى يقابله منهج هؤلاء النحـــاة الذين يعنون بقوانين العلوم ، والجاحظ يستهدف توليد المعانى والغوص فى بحـر اللغة الزاخر يغرف منه قدر استطاعته ، من هنا كان موقف أصحاب المرونة فى اللغة فى مقابل هؤلاء الذين يتعاملون مع اللغــة « القانون » بينما الجاحظ يتعــامل مع اللغـــة « التعبير » ومن ثم ذهبت الدراســة الى أن القضية ليست مجــرد أن الجاحظ يشكو من طريقة النحـــــاة فى كتبهم ، وأنهم وعلى

رأسهم الأخفش يبنونها بناء شاقا فيه عسر ، وفيه تصعيب وانما القضية التى ضربت أطنابها من قديم هى الخلاف بين الأديب واللغوى ، الأديب يضيق بقانون اللغة اذا اسرف فيه واللغوى حريص على كل ما يتعلق بالقاعدة مهما كانت تفريعاتها وما يلقاه الأديب من مغبة هذه التفريعات .

فوظيفة النحو عند الجاحظ لا تتجاوز ما يؤديه الى السلامة من فاحش اللحن ومن مقدار جهل العوام فى كتاب ان كتبه وشعر ان أنشده ، وشيء ان وصفه ، ومازاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به .

وذهبت الدراسة الى أن النقد قد يأتى على غير علم بالقاعدة تسرعا فى الأحكام دون تدقيق فى أصول القاعدة ، وهذا النقد العاجل يوقع صاحبه فى براثن المتخصصين وأشارت الدراسة الى رأى عبد القاهر الجرجانى الذى يرى أن صنيع من زهد فى النحو أشبه بأن يكون صدا عن كتاب الله وعن معرفة معانيه على الرغم من كون هؤلاء يعلمون أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الاعراب هو الذى يفتحها ، وأن الأغراض كامنة فيها حتىيكون هو المستخرج لها .

وأشارت الدراسة الى مفهوم الزجاجى للنحو والفائدة فى تعلمه وكيف أنها الوصول الى التكلم بكلام العرب على الحقيقة صوابا غير مبذل ولا مغير ، ومعرفة قيمة كتاب الله عز وجل ومعرفة أخبار النبى ﷺ واقامة معانيها على الحقيقة لأنه لا تفهم معانيها على صحة الا بتوفيتها حقوقها من الاعراب ، والى مثل هذا الرأى ذهب ابن هشام الأنصارى ، كما أشارت الدراسة الى رأى ابن خلدون الذى يرى أن علوم اللسان تتفاوت فى التأكيد بتفاوت مراتبها بمقصود الكلام والذى يتحصل أن الأهم المقدم منها هو النحو

اذ به تتبين أصول المقاصد بالدلالة ، ولولاه لجهل أصل الافادة وألمحت الدراسة الى نقد ابن مضاء القرطبى وأرجعته الى باعثين أولهما عام يتفق فيه مع تيار التعصب ضد المشارقة فيما ظهر عنده وعند ابن شهيد وابن حزم .

والباعث الثانى هو نقد أسلوب النحاة فى التعامل مع القواعد النحوية .

وعالج الفصل الثانى من الباب الأول فى هذه الدراسة « نقد المحدثين » .

فاشارت الى اسباب ضيق بعض المحدثين بالنحو العربى وأرجعته الى أسبابه منها الذين درسوا العربية بمناهج الغرب فتأثروا بهذه المناهج واعتبروا النحو قيدا على اللغة وليس قانونها المنظم لها .

وأشارت الدراسة الى ضعف النحو العربى عند المثقفين وفى منارات الثقافة لمختلفة وكيف أن نقدهم يتسم بالجزئية ، وهو انعكاس لما وصل اليه الانسان العربى ، فلا نستطيع أن نزعم أن اللغة العربية بلغت مكانها المرموق عند المعاصرين ، ولا نستطيع أن نزعم أن الانسان العربى يتحمس للغة بخاصة والدراسات الانسانية بعامة ، ذلك أن الاتجاه المادى أثر كثيرا على الدراسات الانسانية وأمسى الكتاب بوصفه دعامة من دعامات الثقافة لا يحقق مكانه الجدير به فى الوقت الحاضر وصارت هناك وسائل مختلفة للاعلام والتثقيف والترفيه نازعت الكتاب مكانه ، وأصيب الانسان بالكسل العقلى لأنه اعتمد على المشاهدة والسماع وأمسى الانسان المثقف قارئا سريع القراءة ؛ بمعنى أنهاعتمد على القراءةالصحفية وهى قراءة تتسم بالسرعة لأحداث يومية ولأفكار تتسم بالخفة وعدم التعمق فى كثير من الأحيان .

ولا نستطيع أن نزعم أن القصة ؛ رواية أو قصة قصيرة بلغت أوج مكانها فى حاضرنا ولا نستطيع

أن نزعم أن المسرح بلغ كماله أو هو فى سبيله الى هذا الكمال ، لا نظن ان وسائل الثقافة بلغت درجات من الكمال والاجتهاد يبعث فينا الاطمئنان ؛ فما مكان النحو اذن وسط هذه التيارات ؟ اذن ليست القضية مرتبطة بالنحو العربى فحسب وانما تضرب القضية بجذورها فى كل عناصر الثقافة والنحو واحد من هذه العناصر .

وحينما كان الانسان العربى صاحب قوة وسلطان سيطرت العربية على كثير من البلاد المفتوحة ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وتعلموا العربية وتعمقوها وألف هؤلاء السلف فى أصول العربية ما يزال زادا خصبا تتناقله الأجيال .

وألمحت الدراسة الى أن كثيرا من الذين تصدوا لنقد النحو لم يأخذوا بأسباب النقد الموضوعة فلم يطلعوا على ما ترك النحاة من تراث زاخر فى هذا العلم ، ولم يحاولوا أن يقفوا على دقائق المسائل النحوية ومن ثم كانت أحكامهم صرخات فى واد سحيق لا يكاد يسمع منها الا الصدى ، ولا يلبث هذا الصدى أن يتلاشى لأنه لم ينعكس عن صدق التجربة وانما كان انعكاسا لمواقف التردى الثقافى وعدم التعمق .

وعزت الدراسة أسباب النقد الى تحول الجامعات وخاصة الأقسام المتخصصة منهجا الى جدولة اللغةالعربية وتقسيم العربية الى دروس اللغة والأدب ومدى مادب من الصراع بين المتخصصين فى الأدب والمتخصصين فى اللغة وكأنهم جميعا لا ينهلون من منهل واحد هو منهل اللغة العربية العذب .

وأشارت الدراسة الى آراء المحدثين فى نقد النحو العربى ، ومنهم أمين الخولى وطه حسين وابراهيم أنيس وكامل حسين وغيرهم وكثير من شيوخ المجمع اللغوى .

وعالج الباب الثانى من هذه الدراسة القضايا النقدية وناقش فى فصله الأول القراءات والنحو وأوضح العلاقة

اللصيقة بين النحو والقراءات وتابع هذا عند القدماء من أوائل النحويين من أمثال أبى عمرو بن العلاء والكسائى ، واذا كان النحاة قد وضعوا أصول القراءات وجعلوا الأصل الأول موافقة القراءة قواعد العربية فان علاقة النحو بالقراءة هى علاقة الفرع بالأصل لأن النحو فرع العربية والقرآن الكريم أصلها ، أخذ منه اللغويون والنحويون والبلاغيون وكل الأصوليين من رجال الفقه والتشريع وغيرهم .

وأشارت الدراسة الى أصول القراءة الصحيحة التى تقوم على أن كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها ولا يحل انكارها بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن الكريم ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة ومن خلال دراسة علاقة النحو بالقراءة وقفنا على علاقة القاعدة بالأصل وحاولت أن تقف على أسباب هذه العلاقة وتسبر دلالتها فليست العلاقة بينهما مجالا للتعسف ولم يؤخذ على نحوى اتهام فى دينه وانما اجتهد جميعهم جهد الطاقة فى سبيل استبيان معانى القرآن ، واللغة العربية بخصائصها متعددة القاعدة لأنها لغة تتسم بالطواعية ولا تتسم بالجمود ومن ثم كان الاتساع بالقاعدة نابعا من سمات اللغة وخصائصها ؛ ولقد أخذ النحوى بهذا المنهج فلا تثريب عليه لأنه يعتمد على خصائص اللغة .

ولقد استهدف النحو أول ما أستهدف منذ نشأته تقويم اللسان العربى وعدم تحريف آى الذكر الحكيم ، وكانت مهمة النحو هى مهمة الضبط القائم على القاعدة ، خشية أن يلحن الذين دخلوا فى دين الله أفواجا فى نصوص القرآن الكريم ، فكانت مهمة النحو مهمة مقدسة .

وفيما يسمى بالقراءات الشاذة اتجه النحاة الى تبيين وجوه شواذ القراءات والافصاح عنها وبذلت فى هذا المجال جهود كبيرة ، ثم أن القراء – كما يقول ابن الجزرى – تفرقوا فى البلاد وانتشروا وخلفهم أمم بعد أمم ، عرفت طبقاتهم واختلف صفاتهم ، فكان منهم المتقن التلاوة ، والمشهور بالرواية والدراية ، ومنهم المقتصر على وصف من الأوصاف، وكثر بينهم لذلك الاختلاف، وقل الضبط ، واتسع الخرق، وكاد الباطل يلتبس بالحق ؛ فقام جهابذة علماء الأمة وصناديد الائمة ، فبالغوا فى الاجتهاد ، وبينوا الحق المراد، وجمعوا الحروف والقراءات وعزوا الوجوه والروايات وميزوا بين المشهور والشاذ والصحيح والفاذ بأصول أصلوها ، وأركان فصلوها .

وقد أوضحت الدراسة أن سيبويه يكثر من الاحتجاج لبعض القراءات وأكثر معوله فى ذلك على العربية ومبلغ القراءة التى يعرض لها من الموافقة للكثير الشائع من الأساليب واللغات، وعلى تحليل النص لابراز معناه وايضاح ما يكون بينه وبين أشباهه من فروق .

وتؤكد الدراسة على مقولة ابن جنى قوة ما يسمى شاذا الا أننا وان لم نقرأ فى التلاوة به مخافة الانتشار فيه، ونتابع من يتبع فى القراءة كل جائز رواية ودراية فانا نعتقد قوة هذا المسمى شاذا وأنه مما أمر الله تعالى بتقبله وأراد منا العمل بموجبه وأنه حبيب اليه ومرضى من القول لديه وأكثر ما فيه أن يكون غيره من المجتمع عليه أقوى منه اعرابا وأنهض قياسا اذ هما جميعا مرويان مسندان الى السلف .

وعالج الفصل الثانى من الباب الثانى فى هذه الدراسة الحديث الشريف والنحو وكيف أخذ على النحو عدم الاستشهاد بحديث رسول الله ﷺ ؛ وكانت الحجة التى استند اليها النحاة أن حديث الرسول روى بالمعنى ومن ثم تسقط عندهم حجة الاستشهاد بلفظه فى القاعدة النحوية ، وكذلك بسبب أن معظم رواته كانوا من الأعاجم .

وفى ظنى أن النحاة لم يستشهدوا بحديث الرسول ﷺ تحرجا وكان هذا التحرج انعكاسا للرهبة والاجلال لأحاديث الرسول ، وما نقله الرواة من أمر سيبويه حين ترك حلقة الحديث ليتعلم النحو حتى لا يلحن فى حديث رسول الله يؤيد هذا الظن ، ولست من هؤلاء الذين يتهمون لنحاة فى دينهم ، وهم الذين عنوا بالعربية حين وضعوا أصولها ، وصنفوا قواعدها ؛ وكانوا أهل تقوى وصلاح ، فتحرج النحاة فى الاستشهاد بالحديث اعزازا له واجلالا لرسول الله ﷺ .

قد يقول من يعترض هذا الرأى ، كيف هذا وقد استشهدوا بالقرآن وعنوا بقراءاته ؟ أقول : لأن القرآن الكريم جاء بنصه وهو الزاد الذى اعتمدوا عليه واستنبطوا منه قواعدهم .

وقد روى عن الامام أحمد بن حنبل أنه سئل عن حرف من غريب الحديث فقال : سلوا أصحاب الغريب فانى أكره أن أتكلم فى قول رسول الله ﷺ بالظن فاخطىء .

وأشارت الدراسة فى هذا الفصل الى ما كتبته الدكتورة خديجة الحديثى عن موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف وألمحنا الى أهم ما تحويه من مذاهب الاحتجاج .

وفى الفصل الثالث من الباب الثانى فى هذه الدراسة فى نقد النحو العربى تناولنا موضوع المنهج والأسلوب التعليمى وتحدثنا عن منهج المعلمين حينما شتتوا القاعدة ومنها أسلوب النحويين فى الموضوع الواحد وضربنا بعض الأمثلة ، ومنها تدريس المفاعيل على سبيل المثال ؛ ورأينا أنه يمكن دراسة المفاعيل مرتبطة بالحدث وليست منفصلة عنه .

وألمحت الدراسة فى هذا الفصل الى الفرق بين جهود الفقهاء وجهود النحويين ، وكيف أن الفقهاء سلكوا مع اختلاف مذاهبهم طريقا واحدا ولم يشع فى كتبهم هذا

الاستطراد الكثير الذى شاع فى كتب النحو ، وهذا أمر بدهى لأن الفقيه يتحرج فى مسائل الفقه والنحوى لا يصادفه هذا التحرج .

وأشارت الدراسة الى تلك المسائل التى كان يضعها النحاة المعلمون نصب أعين تلاميذهم ليؤكدوا القواعد النحوية فى أذهانهم وهى تشبه من قريب مسائل الرياضة لتثبت القاعدة فى الأذهان .

وأشارت الدراسة فى هذا الفصل الى أساليب الجدل التى عرف بها النحاة فى مجالسهم ومناظراتهم وكيف كانوا يفرون الكلام فريا ، خاصة أن المنافسة كانت شديدة وكان من حوافزها أنها كانت تعقد بحضرة الخلفاء الأمر الذى شحذ الهمم لنيل الحظوة وابراز القدرات على المناظرة والجدل .

وذهبت الدراسة الى أن بعض أوجه الخلاف مرجعه الى الاختلاف فى اللهجات العربية ومن ثم يكون الخلاف واردا .

وكذلك أرجعت الدراسة بعض أسباب الخلاف الى الفروق بين لغة الشعر ولغة النثر المرسل .

كما أن من أسباب الخلاف بين النحاة أن بعض الشواهد روى بأكثر من رواية الأمر الذى سمح بهذا الاختلاف .

وبعد ، فقد أشارت الدراسة الى ضرورة وضع خطة بديلة لتعليم العربية فى مدارس التعليم العام تقوم على طبيعة العربية الجميلة السهلة التى تتمثل يسرها من يسر الدين الحنيف واقترحت الدراسة فى هذا المجال توحيد كتاب العربية وأن يكون النحو متضمنا داخل النصوص حتى تستنبط القاعدة من محتواها ، وليس تعبيرا على سبيل المجاز اذا قلت لك ان زهرة فى الحديقة أجمل بكثير من زهرة مقطوفة لأن الزهرة فى الحديقة تجاور غيرها من الزهرات فيتضح جمالها فاذا قطعتها من أصلها فأنت قد جئت بمسخ .. أو مثال بعيد عن مواطن الجمال .

المصادر والمراجع

أبنية الصرف فى كتاب سيبويه . خديجة الحديثى . بغداد ١٩٦٥م .

أبو زكريا الفراء . مكى الأنصارى . المجلس الأعلى للفنون والآداب ١٩٦٤م .

الاتقان فى علوم القرآن . السيوطى . ط . الحلبى .

الحيوان . الجاحظ . الحلبى .

أخبار النحويين البصريين . السيرافى . فريتس كرنكو (بيروت - باريس) ١٩٣٦م .

أسرار البلاغة . عبد القاهر الجرجانى . تصحيح وتعليق محمد رشيد رضا ط صبيح ١٩٥٩م .

أسرار العربية لأبى البركات الأنبارى المطبعة العربية ١٣٢٧هـ - ١٩٢٨م .

الأشباه والنظائر فى النحو . السيوطى . حيدر أباد ط ٢ / ١٣٦٠ هـ .

أصول النحو لابن السراج تحقيق الفتلى . بغداد .

الاعلام لخير الدين الزركلى المطبعة العصرية (١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م) .

الاغراب فى جدل الاعراب ولمع الأدلة فى أصول النحو لأبى البركات الأنبارى . تحقيق سعيد الأفغانى . ١٩٥٧ م

الاقتراح فى علم أصول النحو للسيوطى حيدر أبا الدكن الطبعة الثانية ١٣٥٩هـ .

الامتاع والمؤانسة لابى حيان التوحيدى . شرح أحمد أمين وأحمد الزين . بيروت .

أنباه الرواة فى أنباء النحاة . القفطى . تحقيق محمد أبو الفضل ط دار الكتب (١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م) .

الانتصار فى الرد على المبرد فى نقده لسـيبويه لابن ولاد مخطوطة المكتبة التيمورية . دار الكتب .

الانصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لابن الأنبارى . تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ط الاستقامة الطبعة الأولى ١٩٤٥م .

الايضاح فى علل النحو للزجاجى . تحقيق مازن المبارك ط المدنى ١٩٥٩م .

بحوث فى اللغة والأدب منشـورات جامعة الكويت ط ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧ م .

بغية الوعاة للسـيوطى تحقيق محمد أبو الفضـل ط السعادة ١٣٢٦ هـ .

بلاغة أرسطو بين العرب واليونان . ابراهيم سلامة . الانجلو . ط ٢ (١٩٥٢ م) .

البيان والتبيين للجاحظ تحقيق هارون . لجنة التأليف والترجمة والنشر . ١٣٨١ هـ .

تاريخ الأدب العربى . كارل بروكلمان . ترجمة النجار دار المعارف ١٩٦١ م .

تاريخ النقد الأدبى عنـد العرب احسـان عبـاس دار الثقافة بيروت .

تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة . تحقيق السيد أحمد صقر الطبعة الثانية ـ دار التراث ـ القـاهرة ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣م .

تجديد النحو د . شوقى ضيف دار المعارف .

التضاد الجنسى . خليل نامى . عن مجلة كلية الآداب ـ الجامعة الأردنية ـ المجلد الاول ـ العدد الاول .

التعريفات لعلى بن محمد الجرجانى المطبعة الوهبية .

تقريب النشر فى القـراءات العشر لابن الجزرى تحقيق ابراهيم عطوه ـ الحلبى ـ الطبعة الأولى ١٩٦١ م .

تيسير النحو التعليمى قديما وحديثا مع نهج تجديده د. شوقى ضيف دار المعارف .

الجمل . الزجـاجى تصـحيح ابن أبى شنب ط جول كرنوبل الجزائر ١٩٢٧ م .

الحجة فى علل القـراءات السـبع لأبى على الحسن بن أحمد الفارسى . تحقيق على النجدى ناصف وآخـرين . القاهرة (١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م) .

الخصـائص لابن جنى تحقيق النجـار . دار الكتب (دار الهدى بيروت ط ٢) (١٣٧١ هـ) .

دراسات فى اللغة العربية . خليل نامى . دار المعارف

دلائل الاعجاز فى علم المعانى . عبد القاهر الجرجانى تصحيح محمد رشيد رضا . الفنية ١٩٦١ .

الرد على النحاة لابن مضاء القرطبى . تحقيق د. شوقى ضيف ط دار الفكر العربى . ١٩٤٧ .

الزجاجى حياته وآثاره ومذهبه النحوى . مازن المبارك ـ دمشق ١٩٦٠ .

السبعة فى القراءات لابن مجاهد تحقيق د. شـوقى ضيف دار المعارف ١٩٧٢م .

سر صناعة الاعراب لابن جنى تحقيق السقا وآخرين الحلبى . الطبعة الأولى (١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٤ م) .

سيبوية امام النحاة . على النجدى ناصف لجنة البيان العربى .

سيبويه والقراءات . أحمد مكى الأنصارى دار الاتحاد العربى ١٩٧٢ .

شرح السيرافى ـ مخطوط بدار الكتب المصرية ١٣٧ نحو .

شرح المفصل لابن يعيش . المطبعة المنيرية

الشعر والشعراء لابن قتيبة ـ ليدن دار صادر بيروت ١٩٦٤ .

الصاحبى فى فقه اللغة لاحمد بن فارس تحقيق مصطفى الشويحى بيروت ١٩٦٤م .

ضحى الاسلام ـ أحمد أمين ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الخامسة ١٩٥٦ .

طبقات فحول الشعر والشعراء لابن سلام دار المعارف .

طبقات النحويين واللغويين للزبيدى تحقيق محمد أبو الفضل ط السعادة ١٣٧٩هـ .

ظهر الاسلام ـ أحمد أمين ـ النهضة . الطبعة الرابعة ١٩٦٦م .

العربية ـ دراسات فى اللغة واللهجات والاساليب ـ يوهان فك ـ ترجمة عبد الحليم النجار ط دار الكاتب العربى ١٩٥١ .

العصر العباس الاول د. شوقى ضيف دار المعارف .

العصر العباسى الثانى . د.شوقى ضيف دار المعارف ١٩٧٣ .

علم اللغة ـ مدخل تاريخى مقارن فى ضوء التراث واللغات السامية . محمود فهمى حجازى الكويت ١٩٧٣ .

العلة النحوية نشأتها وتطورها . مازن المبارك . دمشق ١٩٦٥م .

الفهرست لابن النديم فاوجل ـ بيروت ١٩٦٤م .

فى أصول النحو لسعيد الأفغانى ط ٣ جامعة دمشق ١٩٦٤

الكامل للمبرد تحقيق زكى مبارك ط الحلبى ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م .

كتاب سيبويه ـ بولاق ـ وتحقيق عبد السلام هارون دار القلم ١٩٦٦م .

كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى بيروت ١٩٦٦م .

لسان العرب لابن منظور ط بولاق من ١٣٠٠ ـ ١٣٠٧ .

اللغة ج . فندريس تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص لجنة البيان العربي ط أولى ١٩٥٠ .

اللغة بين العقل والمغامرة د. مصطفى مندور الاسكندرية ١٩٧٤ .

القياس فى اللغة للشيخ الخضر حسين .

القياس فى النحو العربى من الخليل الى ابن جنى . صابر بكر أبو السعود دار الهنا .

اللمع لابن جنى شرح عبد الله بن الحسن العكبرى القاهرة ١٣٣١هـ ـ ١٩١٣م .

مجالس ثعلب ـ تحقيق هارون ـ دار المعارف ـ النشرة الثانية ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٨م .

مجالس العلماء للزجاجى ـ تحقيق هارون ـ الكويت ١٩٦٢ .

مجلة مجمع اللغة العربية .

المحتسب فى تبين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنهما لابى الفتح عثمان بن جنى . تحقيق على النجدى ناصف وآخرين . المجلس الأعلى للشئون الاسلامية القاهرة ١٣٨٦هـ .

المدارس النحوية د. شوقى ضيف دار المعارف ١٩٦٨ .

مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها د.عبد الرحمن السيد سجل العرب الطبعة الاولى . ١٩٦٨م .

مدرسة الكوفة وأثرها فى النحو واللغة د. مهدى المخزومى – الحلبى – ١٩٥٥ م .

مراتب النحويين لابى الطيب عبد الواحد . تحقيق محمد أبو الفضل نهضة مصر ١٩٥٥ .

المزهر فى علوم اللغة وأنواعها – السيوطى – تحقيق محمد جاد المولى وآخرين – دار احياء الكتب العربية – القاهرة – ١٣٧٨هـ ١٩٥٨م .

مشكل اعراب القرآن لمكى بن أبى طالب .
دراسة وتحقيق حاتم صالح الضامن بغداد ١٩٧٥ م .

المعارف – ابن قتيبة – المطبعة الاسلامية بمصر ١٣٥٣هـ

معانى القرآن – الزجاج – نسخة مصورة فى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية رقم ٢٤٦ .

تفسير – عن مكتبة بايزيد (٢٤٧) .

معانى القرآن للفراء . تحقيق أحمد يوسف نجاتى ومحمد على النجار – دار الكتب (١٩٥٥) .

مع المصادر فى اللغة والأدب . د. ابراهيم السامرائى دار الرشيد للنشر بغداد ١٩٨١ .

معجم الأدباء ياقوت دار المأمون القاهرة ١٩٣٦ .

المعجم العربى نشأته وتطوره حسين نصار – دار الكاتب العربى ١٣٧٥ .

معجم مقاييس اللغة – لابن فارس – تحقيق هارون دار احياء الكتاب العربى .

مغنى اللبيب لجمال الدين بن هشام ط الحلبى .

المقتضب – المبرد – تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة المجلس الاعلى للشئون الاسلامية . ١٣٨٨ هـ .

مقدمة ابن خلدون ط التجارية .

من أسرار اللغة ابراهيم أنيس الانجلو ١٩٥١م .

مناهج البحث عند مفكرى الاسلام ونقد المسلمين للمنطق الأرسطى د. على سامى النشار دار الفكر العربى ط ١٩٤٧ .

المقرب لعلى بن مؤمن (ابن عصفور) تحقيق الجوارى والجبورى ط العمانى بغداد ١٣٩٢ : ١٩٧٢ م .

المنصف شرح تصريف المازنى – تحقيق ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين الحلبى ١٣٧٣ هـ – ١٩٥٤ م .

النقد المنهجى عند العرب ومنهج البحث فى الأدب واللغة . د. محمد مندور دار نهضة مصر للطباعة والنشر .

الموجز فى النحو لابن السراج – تحقيق مصطفى الشويحى وعبد سالم دامرجى – بيروت ١٩٦٥ .

النحو المعقول – محمد كامل حسين – ط جامعة أسيوط ١٩٧٢ .

نزهة الالباء فى طبقات الادباء لابى البركات كمال الدين بن الأنبارى تحقيق محمد أبو الفضل نهضة مصر ١٣٨٦هـ – ١٩٦٧م .

نشأة اللغة عند الانسان والطفل . على عبد الواحد وافى العالم العربى ١٩٤٧م .

نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة – الشيخ محمد الطنطاوى ط وادى الملوك الرابعة ١٩٥٤ .

نشـــوء اللغـــة العربيــة ونموها واكتهالهـــا ـ أنستاس مارى الكرملى العصرية ١٩٣٨ .

همع الهوامع شرح جمع الجوامع فى علم العربية لجلال الدين السيوطى دار المعرفة بيروت .

وفيات الأعيان لابن خلكان ـ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد . النهضة ١٩٤٨ .

يونس البصرى : مكى الانصارى دار المعارف ١٩٧٣

الفهـــرس